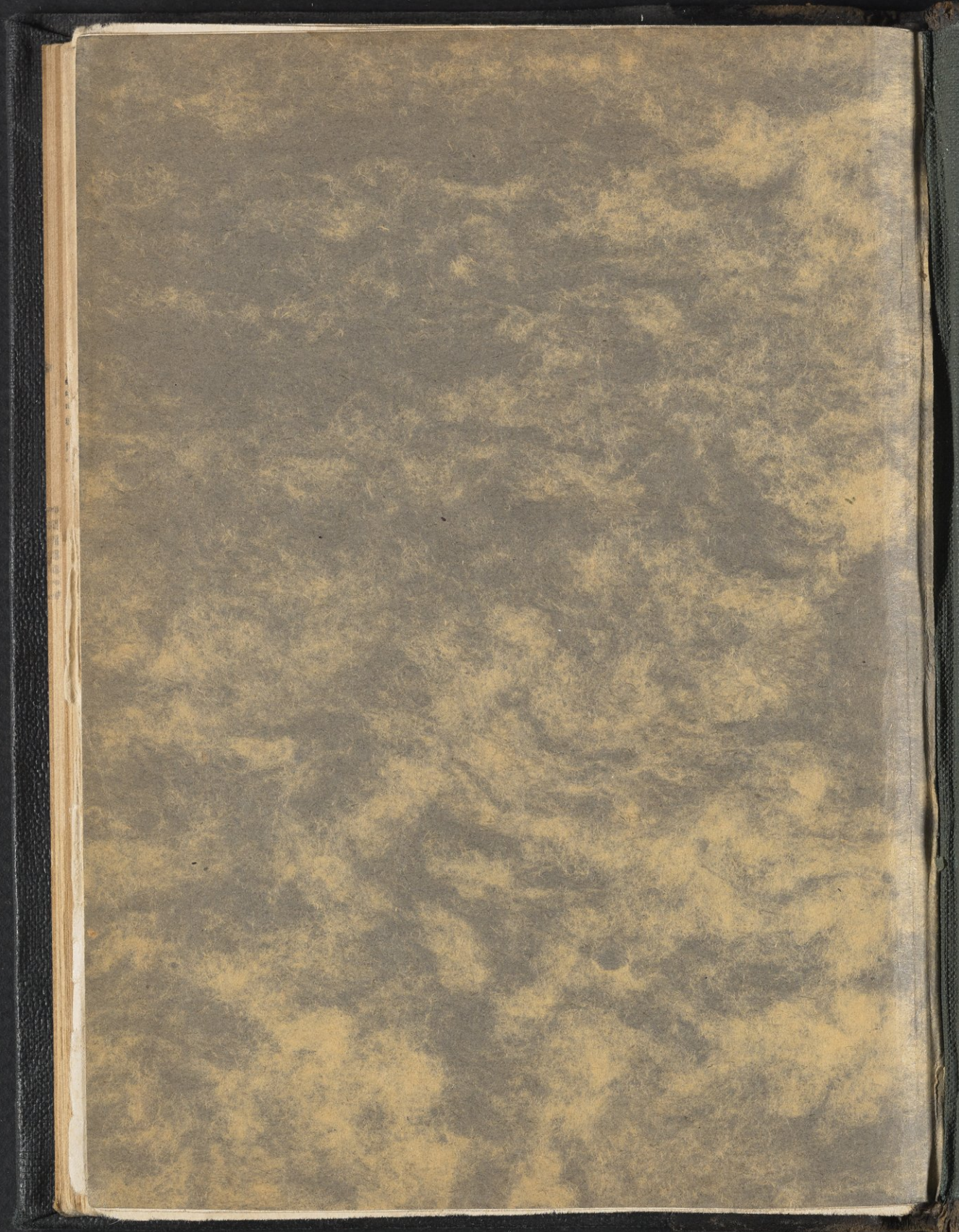


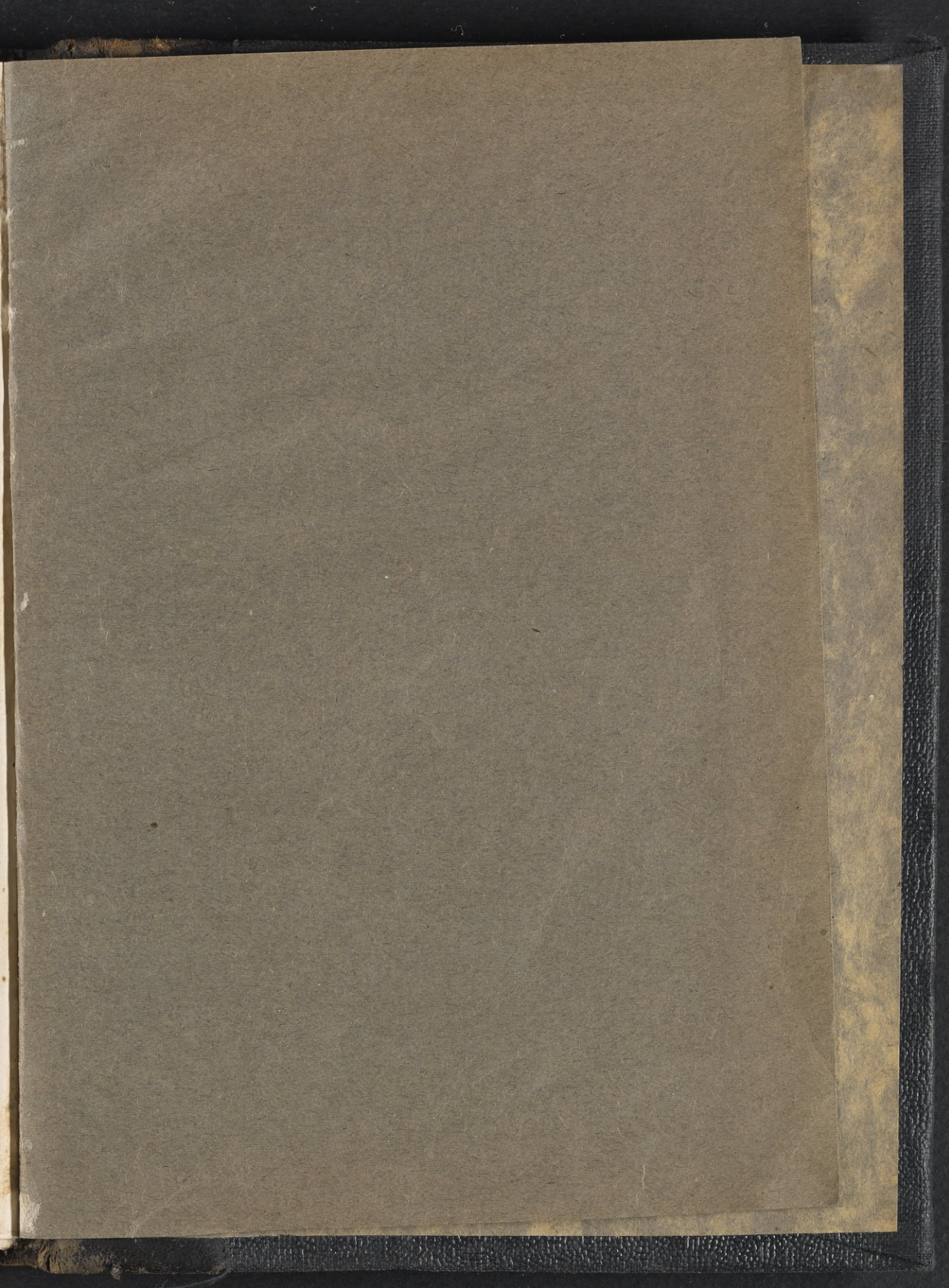
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 00953 5935







ID. 1026
910

أهلām الفلاسفة

وهو ما تخيله العلماء والادباء والفلاسفة من
المثل العليا للهيئة الاجتماعية وما وضعوه من النظم
الخيلية للحكومة والتعليم والزواج والمدن من عهد
الاغريق الى الآن

HX
806
M78

Mūsā, Salāmah 1887-1958
Ahlām al-Falāsifah

بقلم

1926

✓

— الام موسى —

جميع الحقوق محفوظة للهلال

طبع بمطبعة الهلال
١٩٢٦

135
59/31

۳۷۱۰۷
۱۰ س ۴

15481

المقدمت

لكل منا حياتان . حياة الواقع التي يعيشها
الانسان متأثراً بالوسط الزماني والمكاني وحياة الخيال
التي يرغب في أن يعيشها . والفرق بين الحياتين هو
فرق بين الوجود الناقص وبين المتخيل الكامل أو
بين ما هو موجود على الرغم منا وبين ما يجب أن
يوجد وفق خيالنا وطبق رغائبنا

والعقل الانساني مطبوع على أن يتم بخياله ما يراه
ناقصاً في الحقائق الواقعة حوله . ومهما قيدنا العقل
ومنعناه من التفكير في ما يهوى فانه ينفلت منا ولو
وقت النوم فيعيضنا من نقصنا الحقيقي كالأمتوهم .
فمن جاع في النهار وقت صحوه أكل في الليل أشهى
الاطعمة وقت نومه . ومن تحرَّق في النهار لرؤية
حيبيته رأى طيفها يتهادى في الليل وهو مستغرق في
سياته . بل نحن نحلم في يقظتنا فنستسلم للخواطر

الجميلة لتري القصر الفخم الذي نسكر فيه بخيالنا
والجياذ المطهمة تجر عرباتنا كما نرى الخدم والاتباع
نخاطبهم بلهجة الرياسة ونحن في فراش وثير لنا زوجة
محبة وأولاد مطيعون وحدائق غناء تنتزه فيها . كل
هذا وأكثر منه نراه في خيالنا لاننا نشعر بالنقص في
الحقائق الواقعة حولنا . ومن ضروب الراحة التي
يلجأ اليها العقل أن يعيد التوازن في رغبات الجسم
وشهوات النفس . وهذا هو السبب في أن الاستغراق
في الضحك يعقبه شيء من الغم ، والانغماس في الشهوة
يلها شيء من الاشمزاز والفتور . فاذا كانت حقائق
الحياة مؤلمة تعكر صفاء الذهن وتكده بالتفكير والتدبير
لملافاة تكاليفها وآلامها كان من ضروب الراحة لهذا
الذهن أن يعتمد الى ما يناقض هذه الحقائق من الخيال
فيرسم لنفسه عالماً آخر غير هذا العالم كله نعيم وسرور
فكل منا يعيش اذن في عالمين . عالم الواقع وهو
أبداً ناقص وعالم الخيال وهو أبداً كامل على النحو

الذي نفهم به معنى السكالم . فاذا آلمتنا الحقيقة لجأنا
الى الخيال أو قل بعبارة أخرى اذا رأينا الواقع خارجنا
ناقصاً مختلفاً مؤلماً فررنا منه الى الخيال داخل اذهاننا
قاعتضنا من الحقيقة حاماً

وإياك واحتقار الاحلام . وهل تحتقر الآلهة ؟

اعتبر المصريين القدماء لما استبدت بسواد الامة

فئة قليلة العدد من الامراء والسكينة والاجناد

واستحوزوا على ثروة البلاد ورأى أفراد هذا السواد

أنهم يعيشون في حرمان لا ينعمون بشيء من نعم

هذه الحياة عمدوا الى خيالهم فاخترعوا عالماً آخر

يعيش فيه المحرومون المظلومون يؤجرون أجراً

حسناً على ما قاسوه في هذا العالم وينعمون هناك بما لم

يقدروا أن ينعموا به هنا . فكان خيالهم قد ثار على

الحقيقة وخرج عقابهم الباطن على عقولهم الظاهر وأوجد

نوعاً من التوازن في حياتهم بحيث جعل ما توهمه من

ملذات العالم الثاني بنسبة ما هو واقع من آلام هذا

العالم الاول . ولعلك من هنا تدرك تلك النزعة الاخلاقية
التي تعترى بعض الشياطين من الاشتراكيين
والشيوعيين حين يقاومون الاديان ويحضون السواد
على تركها إذ يخشون هذا التوازن الذي يحدثه الايمان
بعالم آخر وما يعقبه من تهدة لنفس العمال وهم انما
يرغبون في إحداث القلق والاستعمار في نفوسهم
والفيلسوف والعالم والاديب كلهم يتخيل ويحلم .
وهم أكثر خيالا وحماسا اذا اضطربت أحوال المعيشة
وتنافر الخيال المشتته مع الواقع الحتم . ونحن في كل
أزمة تقع أو نكبة تلم بنا نجدنا إزاء ثلاثة حلول لنا أن
نختار منها واحدا . فإما أن نفر كما يفعل الناسك
يزهد في الحياة فيلجأ الى صومعته مهزوما كالأسد
الجريح يذهب الى مغارته . وإما أن نكافح مدافعين
وهذا ما يفعله معظمنا . وإما أن نهاجم وهذا ما يفعله
الاديب أو العالم أو الفيلسوف . فهو لا يفر وهو
أيضا لا يكتفي بالمكافحة وانما يتخيل وسطا يجعله

بديلا من هذا الوسط الحقيقي فيهاجه به ويدعو
الناس الى حمله حتى يستبدلوا بحقائقهم خياله . ولكل
انسان مزاج خاص . ولكن أمزجة الناس متداخلة
فليس فينا من لا يفكر في الفرار بعض الاحيان . ولم
تكن المهاجرة الى اميركا إلا فرارا من أوربا . وليس
فينا من لا يكافح بعض الاحيان بل هذا هو شأننا
طول النهار كما أنه ليس فينا من لا يتخيل ويحلم ولو
بضع دقائق بعد الغداء حين يطمو العقل الباطن
بالعقل الظاهر وتتسلسل الخواطر بلا قيد ولا شرط
والفيلسوف ومن اليه من المفكرين يختلفون
عن الكاهن المصري القديم الذي يمثل أحلام سواد
الامة من حيث أنهم لا يجعلون ميدان حلمهم في
العالم الثاني . فان همومهم الذهنية مقصورة على هذا
العالم والناس على الارض لا الملائكة في السماء هم
موضوع كلامهم وخيالهم . فهم يرون من الخبط
والخلط في الهيئة الاجتماعية ومن الظلم والاسراف في

معاملات الناس ما يحثهم على اختراع نظام أوفى
يضمن لهم أكل ما يتوهمون من صور العدالة
والصحة والعمار . فهم يحلمون لنا ونحن أحياء على هذه
الأرض ولا يبالون بنا بعد موتنا لان الحياة لا الموت

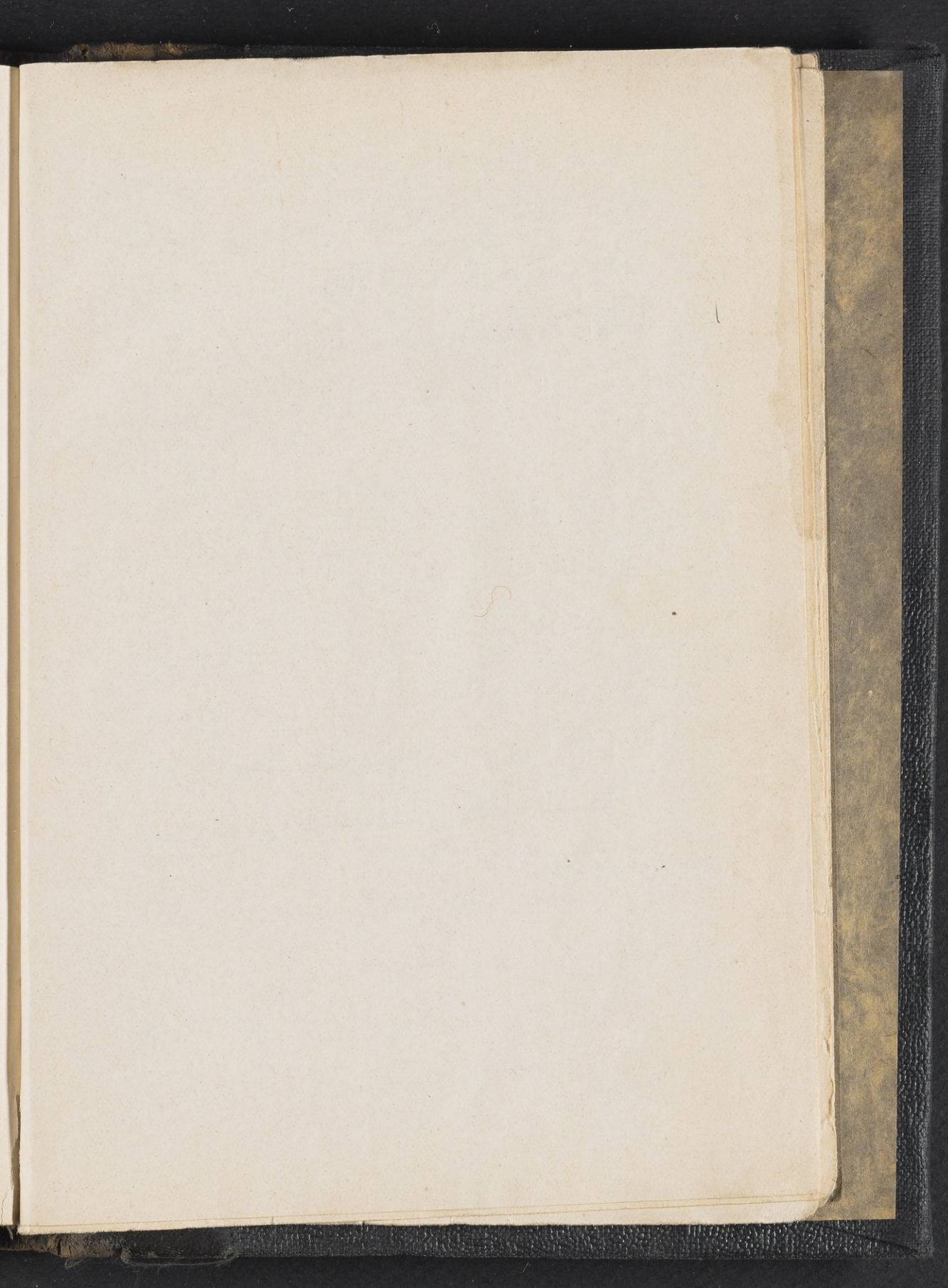
هي موضوع تفكيرهم وغاية نظرهم في الإصلاح
ولا تنس أن كل إصلاح حدث في الماضي أو
سيحدث في المستقبل إنما هو حلم من أحلام أحد
المفكرين . وقد صدق أناطول فرانس في قوله :
« لولا أحلام الفلاسفة في الأزمنة الماضية لكان
الناس يعيشون الى الآن كما كانوا يعيشون قديماً عراة
أشقياء في الكهوف . لقد كان انشاء أول مدينة
خيالاً من أخيلة المفكرين . . . ومن الاحلام السخية
ظهرت الحقائق النافعة . فالخيال هو مبدأ التقدم وفيه
محاولة إيجاد المستقبل الحسن »

وفيما يلي قد لخصنا للقراء بعض الاحلام الشهيرة
التي رآها الفلاسفة في يقظتهم وتخيلوها عن روية

وتدبير يرجون بها اصلاح الهيئة الاجتماعية ومنها يقف
القارىء على ضروب الاصلاح التي تخيلها هؤلاء
الفلاسفة وما كان من اثر الوسط في كل منهم وكيف
كانوا يتخيلون المدينة الفاضلة والحكومة الفاضلة
وأحسن ضروب الزواج وخير نظام للتربية وما
الى ذلك

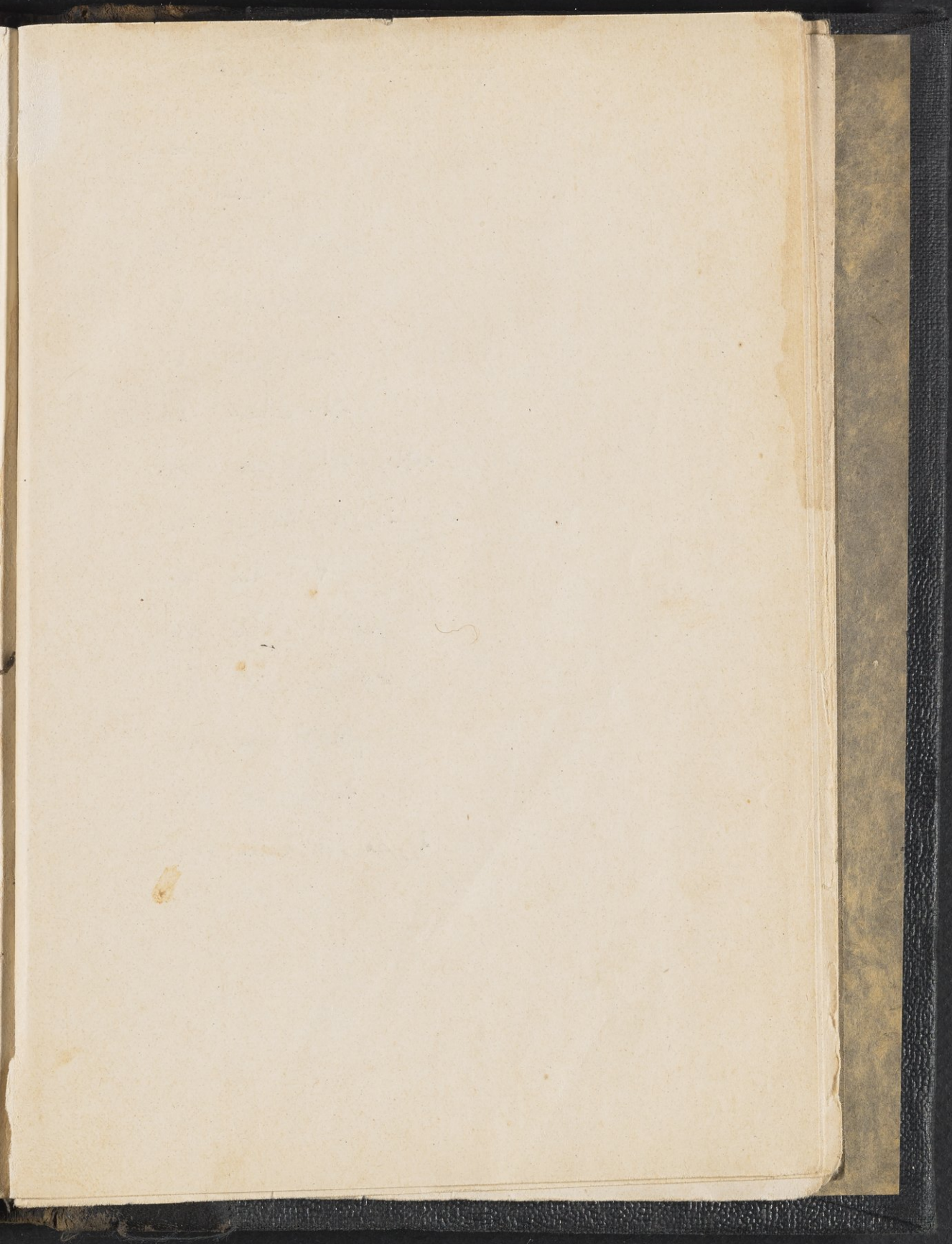
ولا شك في أن القارىء وهو يتنقل من ترسيم
الى ترسيم ومن برنامج الى آخر سيدفعه خياله الى أن
يحلم هو أيضاً حاملاً قد يظن أنه جدير بأن يحشر بين
هذه الاحلام وسوائها كان هذا أم لم يكن فالمؤلف
قد تجرأ وحشر حاميه بينها في « طوبى » توهمها كاملة
مستوفية شروط السعادة لمن به كفاية السعادة

سلام موسى



فهرس الكتاب

صفحة	
٣	المقدمة
١٧	جمهورية افلاطون
٣٠	حلم توماس مور
٤١	اندريا وحلمه
٤٨	اضغاث احلام
٥٣	عصر الصناعة واحلامه
٦٤	من احلام القرن التاسع عشر
٧٠	سنة ٢٠٠٠
٧٨	ثلاثة من الانجليز
٩١	الحقيقة بنت الوهم
٩٧	تطور الاحلام
١٠٣	نقد ومراجعة
١١١	مقدمة لطوبى مصرية



جمهوريه افراطونه

(وُلد سنة ٤٢٧ ومات سنة ٣٤٧ ق . م)

يتسم الادب الاغريقي بشيئين : المجازفة ، والحرية .
ولهذا السبب كان الاغريق ولا يزالون للآن مبعث الوحي
لكل نهضة أو تجديد في الادب . لان المجدد أو الناهض
لا يكون كذلك إلا إذا تخلص من القيود العديدة سواء
أكان مصدرها الشرائع أم التقاليد . ثم هو لن يكون مجدداً
إلا إذا كان احساسه بالحياة أكثر من احساس غيره بها فما
يعده غيره فيه مخاطرة يراها هو في نفسه رياضة فكرية
ليس فيها شيء من المجازفة . فاذا قرأ الاغريق وأشرب
روحهم صار مثلهم يجري على نسقهم في حرية التفكير والجراءة
في الاستنتاج حتى تصير هذه الجراءة طبيعة فيه قد اكتسبها
باللفة مع هؤلاء الاغريق

والحق انه من عجائب التاريخ أن تقوم نهضة أوربا في
القرن الخامس عشر على درس اناس مضى عليهم ألفا عام .
إذ اننا ننتظر من المجدد أن يترك القديم في بلاه وينظر في

الحاضر ويتطلع الى المستقبل . ولكن الاغريق على قدمهم
وبلاهم لا يزال في آثارهم الفكرية ما ينبه أذهاننا ويضطرنا الى
النظر في أي موضوع نعالجه من زاوية غير تلك التي ألفناها
في البحث . وليس في معلومات الاغريق أو معارفهم ما نحتاج
إلى معرفته ولكن نزعة الحرية والمجازفة في البحث هي التي
نحتاج اليها في كل نهضة أو حركة تجديدية . ومن هنا كانت
الروح الاغريقية على الدوام مبعث النهضات الفكرية في
الادب والفلسفة

ولنضرب بعض الامثلة على جراءة الاغريق في تفكيرهم :
فقد كان ارسطوطاليس يقرر ان الآلهة على الرغم من قدرتها
لا تستطيع أن تبدل النواميس الطبيعية . فكان بذلك
لا يقر لها بمعجزات

وكان توقيديد ينعي على الناس زواجهم جزافاً من غير
انتقاء ويقول اننا نعني بتأصيل الخراف والخيول أكثر مما
نعني بالانسان وان كرام الناس أقل من كرام الخيل لان
لكل أحد من الناس الحق في التناسل . وكان ارسطوطاليس
أيضاً يعد الجمال شرطاً من شروط السعادة
وكان افلاطون يبحث في شيوعية النساء
ففي مثل هذا الوسط الحر نشأ أدب نزيه خلو من القيود

لا يزال الى الآن كما قلنا يوحى الى الكتاب والادباء روح
التفكير النزيه الحر الجريء

ولذلك يجدر بنا أن نبحت حلم افلاطون في أول ما
نبحت من أحلام الفلاسفة لئلا نرى أي مدينة فاضلة تخيلها لضمان
سعادة الناس وراحتهم . فان جميع من عالجوا هذا الموضوع
بعده قد ساروا على طريق حاول هو من قبلهم أن يعبد له .
فما من واحد منهم كتب في « المدينة الفاضلة » إلا وكانت
« جمهورية » افلاطون وراء ذهنه تلهمه وتجريئه وتسدده .
ولا شك في ان المدينة الفاضلة كما توهمها الفارابي ترجع الى
افلاطون في الايمان بل في بعض الترسيم أيضاً ولكن
الفارابي جرياً وراء النزعة التي كانت سائدة في عصره اعتمد
على « إلهيات » افلاطون وبجتها وشرحها أكثر مما اعتمد
على ترسيم الجمهورية الانساني حتى ليكاد يفقد الانسان الصلة
بين « المدينة الفاضلة » للفارابي و « الجمهورية » لافلاطون

كان العصر بين سنة ٦٠٠ وبين سنة ٣٠٠ قبل الميلاد
عصر بناء المدن في بلاد الاغريق . فلم تكن الدولة كما نعرفها
الآن تؤلف من عدة مدن وقرى ومستعمرات خارجة عنها
بعيدة منها معروفة عند الاغريق في بلادهم وان كانوا قد

سمعوا عنها عند الفرس والمصريين . فكانوا اذا تصوروا
حكومة لم يتجسم في أذهانهم سوى المدينة أما القطر فلم تكن
له شخصية قانونية عندهم . ولم يكن افلاطون هو الوحيد الذي
تخيل حلم المثل الاعلى للحكومة والهيئة الاجتماعية فقد ذكر
ارسطوطاليس ان من يدعى فالياس قد تخيل مثل هذا الخيال
وقال بوجوب المساواة في حقوق الامتلاك . وان هبودامس
أيضاً قد وضع كتاباً في تخطيط المدينة الفاضلة

ولكن « جمهورية » افلاطون هي الاثر الباقي من تلك
الاحلام وقد تخيلها عقب تلك الحرب الرائعة التي نشبت
بين اسبارطة وبين اثينا وطالت مدتها وامتد لهبها الى جملة
بلاد فخربتها ونشرت الفوضى في نظام هيئاتها الاجتماعية .
والخراب والدمار والفوضى التي تحدثها الحروب تجرى
الناس على التفكير والترسيم وتحوجهم الى الاقرار بسوء النظم
القديمة وضرورة اختطاط الخطط الجديدة . وكما فكر الرئيس
ولسون في ايجاد عصبة الامم عقب الحرب الكبرى فكر
افلاطون أيضاً عقب حروب اسبارطة وأثينا في ايجاد نظام
جديد يضمن للناس السعادة والرخاء

ولم تكن الدولة في عهد افلاطون قطراً بل كانت مدينة
لذلك قصر حلمه على المدينة لا على القطر . بل هو يجعل

مدينته صغيرة بحيث يمكن اجتماع جميع سكانها لخطيب واحد أو يمكنهم أن يشتركوا في لعبة واحدة أو يمكنهم التعارف والمصادقة فلا يكون أحدهم غريباً عن الآخر . ولندكر ان وسائل الاشتراك في الرأي والتعارف الموجودة بيننا الآن لم تكن موجودة في زمنه . فنحن نتعارف الى حد كبير بالصحف والتلغراف والتلفون والبريد ثم ان وسائل المواصلات نفسها تقرب البعيد من المسافات وتجعل الاجتماع ممكناً على الرغم من بعد الشقة بين المجتمعين . ولكن الحال لم تكن كذلك في زمن افلاطون ولذلك جعل مدينته صغيرة يبلغ سكانها نحو خمسة آلاف نفس فقط

فجمهورية افلاطون هي قرية متمدنة حولها حقول خاصة بها للزراعة وأهلها في حال وسط بين الترف وبين الفاقة . فلا الترف يكسبهم الرخاوة التي تبدل الجسم والحواس ولا الفاقة تضعف أجسامهم وتكدهم في العمل الشاق . ثم ان الفاقة والترف كليهما يعود بأسوأ العواقب على الفنون . ولا يمكن اغريقياً أن يفكر في مثل اعلى لا يعنى الناس فيه بالفنون . فجمهورية خالية من الغنى ومن الفقر لان : « الاول يلد الترف والرخاوة والثاني يلد الدناءة والرذيلة وكلاهما يحدث الاستياء »

والناس في الجمهورية سواء فيما يملكون يحصلون على ما يحتاجون اليه حاجة حقيقية ولا ينالون ما لا يحتاجون اليه . وكانت غاية افلاطون توفير السعادة للناس ولكن هذه السعادة لا تنال بما نملك من عروض الدنيا بل بما في أنفسنا من خصوبة وزكوة . فسعادته ليست سعادة النهم الذي يلذ له التهام الطعام بل سعادة الراقص أو العازف الذي تلذ له حركاته وما فيه من خفة ورشاقة . فهو لذلك يساوي بين الناس فيما يملكون لانه لا يرى ان الامتلاك يميز شخصاً على آخر من حيث السعادة

والهيئة الاجتماعية في هذه الجمهورية مؤلفة بالطبع من أفراد . ولكن اجتماع هؤلاء الافراد ليس اجتماعاً اعتبارياً اذ هو مؤلف ائتلاف أعضاء جسم الانسان في شخصه فكل انسان في هذه الهيئة يخدمها وفق كفايته وقدرته كما يخدم العضو الجسم . وانما يحدث السلام والوافق بين أعضاء هذه الهيئة اذا اختص كل عضو بوظيفته لا يتعدها الى غيرها . فالعدل في هذه الجمهورية « هو إيجاد مكان لكل انسان وأن يكون كل انسان في مكانه » على نحو ما نرى في الجوقة الموسيقية فان الخلل يصيب الجوقة جميعها اذا خرج أي انسان منها من مكانه ، والوافق بين نغماتها يزول

إذا قام واحد منها بتبديل ما كلف به من النعم لا يجاد العن
العام للجوقة جميعها

ولكن كيف يمكن افلاطون أن يضمن بقاء كل انسان
في صناعته ومكانه لا يتخطاها الى غيرها ؟

هنا احتاج افلاطون الى ايجاد نظام الطبقات . فطبقة
تختص بدرس الحكمة وتدير شؤون الجمهورية السياسية
والحكومية فهذه هي طبقة الاوصياء . وطبقة تختص بالجندية
لحماية المدينة فهذه طبقة المقاتلة . وطبقة تختص بالزراعة
والصناعة وهذه هي طبقة العمال

وعناية افلاطون هي بالطبع بالطبقتين الاوليين أما
الطبقة الثالثة فلا يبالي بها كثيراً اذ هي رعية محكومة فوقها
طبقة الاوصياء يأمرهم وينهون ودونها طبقة المقاتلة تنفذ
أوامرهم . وليست هذه الطبقات جامدة لا يمكن واحداً من
احدى الطبقات الدخول في أخرى . فكل شخص يمكنه
أن يرتقي من طبقة الى طبقة اذا ظهرت منه كفاية وهو بعد
صغير يمكن تربيته

وقد ألغى حقوق امتلاك الاشياء وحقوق امتلاك
الزوجات بين طبقة الاوصياء وطبقة المقاتلة ولكنه أبقاها
بين طبقة العمال . وهو إنما ألغى الزواج والامتلاك بين هاتين

الطبقتين عناية بهما لانه يريد أن يخضع أفرادهما لنظام خاص
حتى ينشأ أفراد كل طبقة على صبغة خاصة

أما الابتداء في تقسيم الطبقات فمن الصعوبة بمكان .
فانه ينبغي بالطبع على الانتخاب ، يُختار الصبي الذكي لكي
يكون وصياً فيربي تربية خاصة ثم يُختار صبي آخر ميل الى
الرياضة البدنية وتبدو عليه دلائل القوة فيختار لطبقة المقاتلة .
أما الزراعة والصناع فكثيرون

ولننظر في الوسائل التي يتخذها افلاطون لتخليد هذا
النظام ودوام بقائه . فهذه الوسائل تتلخص في ثلاثة أشياء
وهي : التوليد ثم التربية ثم الرياضة اليومية

فأما في طبقة العمال الذين يزرعون ويصنعون فليس هناك
توليد مقصود بينهم فهم يتزوجون وينسلون . أما تربية
أولادهم فهي التربية الشائعة بين الصناع والزراع . يتعلم
الصبي عند صانع أو زارع فيتعلم منه حرفته ويتخرج عليه
ويحترف حرفته وليس له رياضة يومية خاصة

أما طبقة المقاتلة فيعيشون في ثكنة خاصة فلا يملكون
ولا يتزوجون وانما يتعارفون الى النساء فاذا حملن منهم لم
ينتسب الابن الى أب معروف بل ينشأ مقاتلا يربي تربية
الطبقة ولا يعرف ولاء لغير وطنه ولا يبالي بمصلحة لغير

مدينته . ثم يربي الطفل تربية قاسية فإذا كانت به عاهة قتل
ونبذ أما إذا وافق جسمه صناعة القتال احتفظ به وغني به
ودرب تداريب خاصة لتقوية جسمه وذهنه

وكذلك الحال في طبقة الاوصياء يتلاقح النساء والرجال
بدون تعيين امرأة بعينها لرجل بعينه حتى يضيع النسب ولا
يعرف أحد والديه . وهذا مع العناية بالانتقاء فأجمل الرجال
وأكثرهم حكمة وعقلا يشجع على التناسل حتى يكثر أولاده
ويرثوا صفاته في الشجاعة والعقل . وكان افلاطون يرى أن
التفوق في خدمة الجمهورية يجب أن يمنح صاحبه حق التلاقح
مع عدد من النساء أكبر مما يمنح غيره . وليس من الواضح
هل قال افلاطون ذلك على سبيل مكافأة الوصي لحسن بلائه
في خدمة الجمهورية أو لأنه يريد الاكثر من نسله لان تفوقه
في الخدمة دليل تفوقه في العقل

ولم يكن افلاطون يسمح للطبقات بالاختلاط الجنسي .
فلكل طبقة نساؤها ورجالها لا يتعدونها الى غيرها . فكأنه
كان يريد أن يجعل كل طبقة سلالة خاصة لها صفات خاصة .
وكان كما قلنا اسبرطي المزاج يكره الضعف والمرض فكان
يقول بقتل جميع الاطفال المؤوفين وتحديد عدد اطفال طبقة
العمال حتى لا يفيضوا على غلات الارض

أما تربية الاوصياء فكانت التربية الاغريقية المعروفة في
 زمن افلاطون مع التعديلات التي يحتاج اليها نظامه . ولما لم
 يكن للاوصياء عائلة فان أولادهم يوكلون الى مربين يعهد
 اليهم ثقافة أجسامهم بالالعب الجنازية وثقافة عقولهم بالموسيقى
 ما داموا صبياناً . ثم يلحق الصبي ضروب المعارف على طريقة
 اللعب بحيث لا يشعر أنه يكبد للتعليم وإنما يتعلم وهو يلعب
 مسروراً فاذا شب وضع له نظام آخر في التعلم . ثم يمتحن
 الشبان من وقت لاخر فلا يدخل طبقة الاوصياء سوى
 الذين ثبت بالامتحان أنهم أهل لان يتولوا حكومة المدينة .
 ويعيش الاوصياء فيما يشبه الشكنة ولا يجوز لاحد منهم أن
 يكتني بيتاً أو مخزناً ولا يجوز لهم أن يملكوا أي شيء الا
 تلك الاشياء الضرورية التي لا يستغني عنها انسان . وهم
 يكافأون مكافأة معتدلة تكفي حاجاتهم بحيث لا يشعرون
 بضيق الفاقة ولا يجدون أيضاً سبيلاً الى الترف . وهم
 يأكلون معاً ولا يحملون الذهب أو الفضة . والقصد من كل
 هذا النظام أن يبقى الوصي نزيهاً لا تشغله مشاغله الخاصة عن
 النظر في شؤون المدينة ولا ينحرف رأيه في حكم لمراعاة
 مصلحة خاصة . فليس له قريب يحاييه أو ولد يدخر المال له
 وكذلك أيضاً لا يختلط بالناس ولا يعاشر أحداً من غير

طبقة فتستحيل المعاشرة الى مصاحبة أو مصادقة تحول
دون النزاهة

والاوصياء يكونون في شبابهم من طبقة المقاتلة يقضون
وقتهم في تثقيف أجسامهم وعقولهم . فاذا بلغوا الخامسة
والثلاثين عهدت اليهم الرياسة في بعض أقسام الجيش
وجرئوا على اكتساب التجارب . فاذا بلغوا الثلاثين
وجازوا الامتحانات الشاقة صاروا أوصياء وعندئذ تقتصر
أعمالهم على درس الفلسفة ووضع نظام الحكم

وليست مهمة الاوصياء سن القوانين وانما هي اختراع
نظم للحكم أو وضع الدساتير للمدينة لضمان حرية الافراد .
فالحرية هي الهم الاول الذي يهتم له افلاطون ويعدّها أخطر
ما ينبغي العناية به فهو لذلك يوكل حراستها الى الاوصياء
الذين يجب عليهم اختراع الانظمة التي تضمن عدم العبث
بها . فالناس في مدينة افلاطون يحكمون أنفسهم وانما يضع
الاوصياء الدساتير لهم سواء اكان ذلك لطبقة العمال أم
لطبقة المقاتلة فهم أشبه بالمشرفين منهم بالحكام . فاذا
وجدوا ان الدستور الموضوع لطبقة العمال مثلاً لا يفي
بحاجاتهم استبدلوا به غيره

وقد يرى القارئ ان افلاطون قد استسلم للخيال في

توهمه الغاء الزواج والامتلاك في طبقتي المقاتلة والاصياء .
وهذا صحيح الى حد ما ولكن ينبغي ان نتذكر أن الرهبانية
المسيحية وخاصة نظام اليسوعيين منها قد سار على نحو من
هذا النظام فالراهب لا يملك زوجة ولا شئاً آخر ومع ذلك
ينجح هذا النظام . واذا كان الانسان قد استسهل انكار
الذات والتضحية بغرائزه الجنسية وغريزة التملك في سبيل
الخدمة الدينية فلم لا يستسهل ذلك في سبيل خدمة الانسان ؟
واذا كان في الناس جماعات يرصدون حياتهم لخدمة الله ،
يحبسون أنفسهم في اديار لا يخرجون منها مدى حياتهم
يقضون أيامهم في الصلاة والتعبد فلم لا يكون بينهم من يفعل
ذلك في سبيل درس الحكمة وايجاد النظم للحكومات وضمان
الحرية للأفراد ؟

فيجب ألا نتوهم ان افلاطون قد استسلم للخيال كل
الاستسلام . فهو يريد أن يكل حكم الناس الى الفلاسفة .
وهو يرى كما رأى بعده نبي الاسلام ان الولد مجبنة ومبغلة
لأبيه . فعهد الى سبب ذلك فوجده في الزواج فألغاه حرصاً
على أن يبقى الوصي أو المقاتل نزيهاً لا يعمل الا لمصلحة
مدينته . وقد ذكرنا الرهبان دليلاً على امكان نزول الطبيعة
البشرية عن حق التمتع بالزواج والامتلاك ونذكر جيش

الانكشارية عند الاتراك دليلا على أن الرباط العائلي يقلل
من شجاعة الناس . فان هذا الجيش كان يؤلف من صبيان
النصارى الذين يؤسرون فينشأون وهم لا يعرفون لهم عائلة
فكان هذا من أسباب شجاعتهم واستماتتهم في القتال

هلم توماس مور

(وُلد سنة ١٤٧٨ ومات سنة ١٥٣٥)

بعد ان مات الاغريق ماتت الحرية الفكرية في جميع
أنحاء العالم الا بصيصاً منها بقي عند العرب يومض ويخبو
تبعاً للزمان والمكان . فقد كان الاغريق جريئاً يجازف في
الخيال ولا يبالى بالآلهة أو بالناس . وذلك لان الآلهة
والناس كليهما لم يكن لهما ذلك السلطان الذي صار لهما فيما
بعد أي بعد ظهور المسيحية والامبراطرة والملوك . فقد كانت
الآلهة الاغريقية كثيرة العدد كل منها مختص بعمل فلم تكن
له حرمة إله المسيحية أو إله الاسلام أو ما لهما من السيادة
الاتوقراطية والعلم بكل شيء واملاء كل شيء على الناس .
وكذلك لم يكن لهم ملوك مستبدون يمنعون الناس من التفكير
في اشكال الحكومات وسياسة الدول وسن الشرائع

لم يكن شيء من ذلك عند الاغريق فكانت أفكارهم
تنطلق حرة تسبح أيما تشاء . وكان فلاسفتهم يكتبون في
كل ما يعرض لهم بلا تخرج لا يتورعون من دين ولا
يخشون بأس ملك . ثم كانت المسيحية وإلهها قادر على كل

شيء عارف بكل شيء . فخرج الملكوت من يد الانسان الى يد الله ومن هذا العالم الى العالم الآخر . فاذا كان افلاطون قد وجد المجال واسعاً لان يتخيل ويحلم في ايجاد ملكوت أرضي ينال فيه الناس السعادة والهناء فان المسيحية قد ضيقت هذا المجال لانها أوجدت من جنة النعيم في الآخرة بديلاً من مثل هذه الاحلام . ولم تكن هذه الارض في نظر المسيحية سوى دار بلاء وتجربة يعبرها الناس الى جنة النعيم . وهذا أيضاً هو نظر الاسلام

ثم كان ملوك النصارى وخلفاء المسلمين عائقاً آخر يمنع التخيل والبحث في المثل العليا للحكومات والهيئات الاجتماعية . لان بحث هذه الموضوعات دليل السخط على النظم الموجودة التي لا يرضى ملك أو خليفة بانتقادها ثم كانت النهضة الاوربية فعادت أوروبا الى نفسها القديمة وأخذت تعنى بتاريخ الاغريق . فصارت تدرس ثقافتهم وتمثلها حتى نزعت نزعة اغريقية جديدة فصار علماءها وفلاسفتها يتنبأون ويتخيلون ويحلمون

وكان من هؤلاء الحالمين توماس مور الانجليزي وكان وزيراً لهنري الثامن فلم يكن حلمه مبنياً على أسس الخيال . فقد خبر الدول وعرف من ممارسته الطويلة للسياسة بعض

حقائق الطبيعة البشرية . فهو لذلك يتخيل ولكنه يبدى خياله
على أساس من الحقائق

وبطل الحلم رجل برتغالي يدعى هينلوداي كان كما ينتظر
القارىء يعرف الاغريقية وقد اعتاد المجازفات الفكرية من
فلاسفة هذه اللغة . ولكنه لم يكن رجل كتب فقط فقد
عرف رجلا يدعى فسبوتيموس زار معه اميركا الشمالية
والجنوبية وجزائر الهند الشرقية وهناك رأى بلاداً تخالف
ما ألفه في بلاده من حيث المؤسسات والنظم وتركيب الهيئة
الاجتماعية . فهو لذلك يروي ما رآه في هذه الرؤيا لعل فيه
فائدة للقارىء

يقول هينلوداي انه زار جزيرة طولها مائتا ميل قد
خطت في وسط المحيط بهيئة الهلال يتقوس حول خليج كبير
بحيث يسهل الدفاع عنها من غارة أي عدو . وبالجزيرة ٥٤
مدينة أقربها تبعد عن الاخرى بمقدار ٢٤ ميلا وأبعدها
تكون على مسيرة يوم منها وعاصمة الجزيرة بلدة تدعى
اموروط ولكل بلدة اختصاص قضائي على ما حولها من
الارض الى ما يبعد عنها بعشرين ميلا

والزراعة هي أساس المعيشة في هذه الدولة فليس فيها
من يجهل هذه الصناعة فهناك فلاحون يقضون كل حياتهم

في الحقول لهم دسا كرم منبثة في الريف ولكن عند الحصاد يرسل عمال من المدن لمساعدة الفلاحين . وكل دسكرة تحتوي على أربعين رجلا وأربعين امرأة وفي كل عام يعود عشرون من هذا العدد الى المدينة ويستبدل بهم عشرون آخرون يرسلون من المدينة الى الدسكرة كي يتعلموا الفلاحة . والفلاحة متقدمة من وجهيها الاقتصادي والانتاجي . فهم يعرفون كيفية انتاج الدجاج بطريقة صناعية ويعرفون مقدار الطعام المطلوب لاهل الجزيرة فيزرعون ما يكفي أو ما يفيض عن الكفاية

ومع ان جميع سكان الجزيرة يعرفون الفلاحة وقد مارسوها بعض عمرهم فانهم جميعهم يعرفون صناعة أخرى يزاولونها كالبناء والتجارة والحداة والحياكة وجميع الصناعات متساوية القيمة فلا تفضل واحدة أخرى . والناس يتبعون آباءهم في الصناعات . فالصناعة تمارسها العائلات لا الافراد واذا مال واحد الى صناعة تخالف ما يزاوله أبوه ذهب الى عائلة أخرى فتتبناه العائلة ويأخذ في تعلم صناعتها . ويمكنه اذا أراد - أن يتعلم صناعة أخرى باتباع هذه الطريقة نفسها ثم له أن يختار ما شاء منهما

وينحصر عمل القضاة تقريباً في اجبار الناس على العمل

وليس معنى هذا ان أهل الجزيرة يكدون أنفسهم ليل
نهار فان لهم توقيتاً للعمل والراحة فهم ينامون ثماني ساعات
ويشتغلون ستمّاً ويتصرفون بسائر اليوم كما يشاءون وهم
يشتغلون هذا العدد القليل من الساعات لان كل انسان
مجبور على العمل فليس بينهم أشرف أو أمراء أو شحاذون
يعيشون عالة على غيرهم . ولا يعنى من هذا الاجبار سوى
الطالب في المدرسة أو القاضي

وبين المدينة ودساكر القرى مقايضة تحدث باحتفال
عام كل شهر فيأخذ الفلاحون ما يحتاجون اليه من صناعة
أهل المدن ويأخذ أهل المدن ما يحتاجون اليه من غلات
الريف . ولا بد أن لهذه المقايضة نظاماً ولكن هيتلوداي لم
يذكر هذا النظام

والمدينة مؤلفة من عائلات والصناعة كما قلنا تمارسها
العائلة لا الفرد . قال هيتلوداي : « كل مدينة مقسمة الى
أربعة أقسام وفي وسط كل قسم سوق فما تحضره العائلات
من مصنوعات يؤخذ ويصف كل الى نوعه في أمكنة خاصة
ثم يذهب الآباء ويأخذون حاجاتهم من هذه الاشياء بدون
أن يدفعوا ثمنه أو يضعوا شيئاً بدلا منه على سبيل المقايضة .

وليس هناك ما يدعو الى أن ينكر على أحد طلبه وذلك لوفرة ما هو معروض من هذه الاشياء ولأنه لا خوف من أن أحداً يأخذ أكثر من حاجته اذ ليس هناك ما يغريه بذلك لانه متأكداً من وجود هذه الاشياء على الدوام »

ثم يقول : « ان خوف الحاجة هو الذي يوجد النهم والطمع في نفوس الحيوان ولكن الى جانب الخوف نجد عند الانسان خصلة أخرى هي الكبرياء حيث يتوهم الانسان أن تفوقه على غيره في الابهة مما يزيد في مجده وعظمته . ولكن ليس أحد يسعه أن يفعل ذلك في الجزيرة »

فتوماس مور لا يحلم بشيوعية النساء كما حلم افلاطون . ولكنه يحلم بشيوعية الاملاك وهو لكي يحقق هذه الشيوعية يلغي النقود . فالناس يأخذون حاجاتهم بدون ثمن

وفي كل عام يجتمع القضاة (وهم الحكام أيضاً) في العاصمة « أموروپ » فينظرون في غلات كل منطقة ويرسلون الى المناطق المحتاجة الى بعض السلع ما يحتاج اليه من فائض المناطق الأخرى

وليس للذهب أو الفضة أو الجواهر قيمة عند أهل الجزيرة ولذلك فالرؤيا كما يراها توماس مور لا تقاس الى رؤيا يوحنا من حيث الزينة والالاء مع أن الاولى يقصد تحقيقها

في هذا العالم والثانية لا تتحقق الا في السماء . وغريب أن
يدعو رجل الدنيا الى ملكوت خلو من الزينة والجواهر في
حين يدعو اليها رجل الدين في ملكوت السموات
أما اموروط عاصمة الجزيرة فتقع على تل وحولها سور
والمنازل مشيدة على نسق واحد حتى كأن الشارع بناء واحد .
وسعة الشارع عشرون قدماً ووراء كل منزل حديقة يعنى
السكان بها ويتعهدونها حتى تبقى في نضارة دائمة . وفي كل
شارع قاعات خاصة مبنية على مسافات متساوية يقيم فيها
القضاة (الحكم) وكل منهم ينظر في شؤون ثلاثين عائلة
نصفها في جانب من الشارع والنصف الآخر في الجانب
الآخر

وفي هذه القاعات يتناول جميع السكان غذاءهم . ويقوم
بطهي الطعام نساء الثلاثين العائلة بالتناوب . والى جانب
هذه القاعة معبد ومكان آخر للعب الاطفال الذين تأتي
أمهاتهم للطبخ في نوبتهن

ولننظر الآن في حكومة هذه الجزيرة . فالعائلة هي
أساس الهيئة الاجتماعية وكل ٣٠ عائلة تحتار كل عام قاضياً
ولكل عشرة قضاة رئيس . وجميع قضاة الجزيرة الذين
يبلغون ٢٠٠ يختارون أميراً وتكون أمارته مدى حياته ما لم

يتم بمحاولة استعباد الاهالي . ولكي يمنع الامير أو غيره من محاولة قلب نظام الحكومة يعرض كل مشروع على جميع السكان . فان القاضي يعرضه على العائلات الثلاثين الداخلين في اختصاصه ثم يتناقشون فيه ويرفع هو قرارهم الى مجلس الشيوخ

والعائلة كما رأيت ليست وحدة بيتية فقط بل هي أيضاً وحدة صناعية فاذا صارت قاعدة للانتخاب ضمن النظام الديمقراطي للحكومة وضمن بذلك بقاؤها

ولكن في هذا الحلم أشياء جديدة بالانتقاد لم يستطع توماس مور أن يخرج فيها عن حكم بيثته . فلم يدرك مثلاً أن تكاثر السكان مع العناية بصحة الاهالي وتوافر الغذاء لهم سيؤدي حتماً الى أن يفيض السكان على طعامهم والى إيجاد الفاقة بين جميع السكان . وهذه غلطة يعذر فيها توماس مور فان الوفيات في عهده كانت كثيرة تكاد تعدل المواليد فلم يكن يخطر ببال أحد أن يتخيل مثلاً أعلى للبيئة الاجتماعية يحدد فيه عدد السكان . وان كان ذكاء افلاطون قد جعله يحسب لهذا الاحتمال ويوصي بقتل الفائضين من الاولاد

ويظهر من مسائل أخرى عالجها توماس مور ان مستوى المثل الاعلى عنده لم يكن عالياً الى الدرجة التي يمكننا أن

تتخيلها . ويظهر هذا خاصة في معالجته مسألة انتقال الاهالي
من مكان لاخر ومسألة الحرب

ففي مسألة الانتقال يحتم على كل فرد أن يحصل على
جواز من أمير الجزيرة . فاذا غاب أكثر من يوم يجب عليه
أن يمارس صناعته في المكان الذي انتقل اليه . واذا وجد
انسان يجول في مكان وليس معه جواز فانه يعاقب فاذا
عاود هذا الفعل عومل معاملة العبيد . ويبدو للقارىء من
معالجة توماس مور لهذه المسألة انه لم يعن أقل عناية بالتفكير
الجدي فيها أو انه أراد أن يحصل على عبيد لجزيرته فانه وجد
أن بين أعمال الناس التي يحتاجون اليها ما هو قدر في طبيعته
لا يرضى بمزاولته أحد باختياره مثل ذبح البهائم وتنظيف
الطرق وما اليها فخص العبيد بالقيام بهذه الاعمال واوجد الرق
باوهي الاسباب في نظام الهيئة الاجتماعية حتى يعيش أفرادها
منزهين عن كل ما في مزاولته قذارة . ولكنه نسي شيئاً
آخر وهو أن معاشرة العبيد تؤثر في الاسياد . واذا الف
الاستبداد من السيد للعبد صار أيضاً مألوفاً من الامير للسيد
أما الحرب فهو يحجزها على شروط منها الدفاع عن الارض
واضطهاد التجار الاجانب ومنع الامم من الهجرة الى بلاد
يمكن زراعة أرضها وليس من يزرعها من أهلها . ومن هذا

الشروط يرى القارىء أن توماس مور كان يكتب مستضيئاً بالحوادث التي جرت في عصره . فقد كانت أميركا حديثة العهد بالاكتشاف والهجرة اليها متصلة وكانت سفن التجارة يقبض عليها في الموانئ ويسلب ما فيها من السلع . ولكنه يؤلف الجيش بطريقة « يوجنية » فهو يصطفي أسوأ الرجال لتجنيدهم في الحرب حتى اذا قتلوا استفادت الامة بفقدهم على نحو ما يقلع الزارع الاعشاب الضارة من حقله

ولننظر الآن في شروط الزواج والدين . فاهل هذه الجزيرة يسمحون للعروسين بان يرى كل منهما الآخر وهو عريان قبل الزواج . وللطلاق علتان الاولى الزنا . والثانية التواء أحد الزوجين على الآخر بحيث لا يمكن تقويمه . ومن زنى يحكم عليه بالرق ولا يمكن أن يتزوج رجلاً كان أم امرأة هذا هو حلم توماس مور وليس يرى فيه القارىء فكرة مبتكرة أو خيالا بعيداً ولكن وراء مقترحاته كلها فكرة واحدة وهي أن يسيطر الانسان على الممتلكات ويتمتع بها لا أن يكون هو نفسه عبداً لها يقضي حياته في جمعها واختزانها ويجهد جهده في المحافظة عليها وحرصاً ورعايتها بحسب بذلك انه مالكها والحقيقة انها هي التي تملكه وتسترقه . وهو لذلك يلغي النقود لانها وسيلة ادخار

الممتلكات . ويحتم على الجميع أن يشتغلوا في الزراعة ولو
بعض وقتهم حتى يشعر كل انسان انه منتج . ثم يحتم على
كل انسان أن يصنع شيئاً ان لم يزرع . ثم يعرض جميع
السلع على الناس يأخذون منها ما يشاءون لا يخشى أن أحداً
سيحتجن اليه ويدخر أكثر مما هو في حاجة اليه

أما أوقات الفراغ وهي كثيرة فتتقضى في طلب العلوم
والآداب يحاول كل انسان أن يرقى ذهنه بما يقرؤه أو بما
يناقش فيه اخوانه

اندريا وعلمه

وُلد سنة ١٥٨٦ ومات سنة ١٦٥٢

يوحنا فالتين اندريا ألماني ومسيحي ايضاً. وحلمه يراد به تحقيق المدنية المسيحية كما يتوهمها رجل مؤمن بهذه الديانة . ولكنه مثل سائر رجال الدين يفيق كثيراً من حلمه فتغلب عليه لهجة الوعظ الديني فما يزال يعظ ويعظ حتى يسأم القارىء وهو يبدأ حلمه بأن يروي للقارىء رحلة له في البحر حيث تتحطم سفينته على صخور جزيرة هي مسرح هذا الحلم فقد كان بهذه الجزيرة مدينة « كرسـتيانوبوليس » أو المدينة المسيحية . فاذا أراد أن يدخل هذه المدينة امتحنه اهلها أولاً في الفضائل والاخلاق والثقافة . ولما لم يروا فيه شيئاً مناقضاً أذنوا له بالدخول

واليك الآن وصف هذه المدينة : « كانت في هيئة مربع طول جانبه ٧٠٠ قدم وهي محصنة بأربعة ابراج وسور . . . فهي لذلك تطل على الاركان الاربعة للعالم . والبيوت مبنية على صفين . ولكنك اذا حسبت الحكومة والمخازن فهي أربعة صفوف . وليس فيها سوى شارع واحد وسوق واحدة ولكنها من الطراز الاول » وفي وسط

المدينة معبد مستدير قطره مائة قدم . وفي جميع البيوت ثلاثة طوابق ولها كلها « بلكونات » متصلة . وتجد على وجه العموم : « ان البيوت يماثل بعضها بعضاً فليس هناك سرف أو قدر . والهواء النقي يجوس خلال البيوت كلها . وفي هذه المدينة يعيش اربعمائة من السكان في هدوء الايمان الديني والسلام » أما سائر الجزيرة فانها خاصة بالزراعة والمصانع

و « المدينة المسيحية » من حيث الصناعة منقسمة الى ثلاثة أقسام : واحد للصناعات الخفيفة التي لا تحتاج الى نار وآخر للصناعات التي لا تحتاج الى وقود وتبقى فيها النيران وآخر ايضاً لتربية الحيوان والاعمال الريفية . والغرض من هذه القسمة ألا تؤذي هذه الصناعات الناس الساكنين بجوارها اذا كانت متفرقة في أنحاء المدينة بلا ضابط . والعمال الذين يشتغلون في هذه المصانع لا يساقون اليها سوق الانعام بل هم قد تعلموا قبلاً وحصلوا على « معرفة صحيحة للمسائل العلمية » ونظرية صاحب الحلم في ضرورة هذه التربية العلمية للصانع هي : « انك اذا لم تحلل المادة بالتجربة واذا لم تستعص عن نقص معلوماتك بتحسين آلاتك فلا فائدة منك »

وهذه لمحة عجيبية من أندريا في رؤياه اذ يقول بفائدة

العلم للصناعة وبامكان تعليم الصانع وكلاهما غرض لم يتحقق في جميع الاقطار المتمدنية للآن بل من الناس من لا يؤمن بها. واليك الآن وصفه للصناعة: « ان عملهم او » استعمال أيديهم » - كما يقولون - هم هناك يجري على نمط خاص وجميع ما يصنع يحمل الى مخزن عمومي . ويأتي الصانع فيأخذ من هذا المخزن كل ما يحتاج اليه لعمله في الاسبوع القادم . وذلك لان المدينة في الحقيقة مصنع واحد متنوع الصناعات واذا كان بالمخزن كمية مدخرة كبيرة من المصنوعات فان الصانع يؤذن لهم بالانطلاق من قيود العمل واستعمال أذهانهم فيما يشاءون . ولا يحمل النقود أحد من الناس وليس للنقود أية فائدة عندهم ومع ذلك فللجمهورية خزائنها . والسكان من هذا الاعتبار لهم ميزة المساواة ليس أحد منهم اوفر مالا من غيره . وانما يمتازون بقوة أذهانهم ويتفاضلون بأخلاقهم وصلاحيهم . وعدد الساعات التي يشتغلون فيها قليلة ومع ذلك فهم يتممون شيئاً كبيراً من الاعمال لانه من العار على أحد أن يأخذ من الراحة أكثر مما يؤذن له »

وهناك واجبات وطنية يؤديها السكان الى جانب صناعاتهم كالخفر والحصاد وتعبيد الطرق والبناء وصرف أقدار المدينة الى مجاريها

أما التجارة الخارجية فليست في يد أفراد يشتغلون
لحسابهم بل هي في يد هيئة تعينها المدينة . وليس الغرض من
هذه التجارة زيادة الثروة والربح بل مقايضة سائر الاقطار
على ما عندهم من السلع التي لا تصنع في « المدينة المسيحية »
وأساس هذا النظام عند اندريا هو العائلة المسيحية .
فكل شاب يبلغ الرابعة والعشرين وكل فتاة تبلغ الثمانية
عشرة يتزوجان ويؤلفان هما واولادهما عائلة جديدة .
وليس هناك ما يتكفه الزوجان حتى أثاث البيت الجديد
تقدمه الحكومة بلائمن . وهذا الاثاث بسيط يمكن الزوجة
أن تنظفه بأقل عناء ولذلك ليس في « المدينة المسيحية »
خدم للبيوت . فالنساء متعلقات والزوج يساعد زوجته في
عمل البيت ما عدا الخياطة والغسل . ثم هناك مطبخ عمومي
يزود الزوجة بما تحتاج اليه من الطعام اذا لم تكن قد طبخت
لنفسها

أما الاطفال فيبقون في رعاية الام الى السادسة من
عمرهم وبعد ذلك يدخلون المدارس فيبقون في عنايتها الى
سن الشباب . وفي هذه المدارس افضل المعلمين . ويمكن
الآباء أن يروا أبناءهم كلما شاءوا . وفي غير أوقات الدراسة
يعمل التلاميذ أعمالا يدوية ويتمربون على الفنون والعلوم

كل يختار ما يميل اليه طبعه . أما أوقات الفراغ فتقتضى في
رياضة الجسم . وفي مدارس « المدينة المسيحية » شيئان
جديران باعتبارنا . أولهما أن للمدرسة دستوراً فهي أشبه
شيء بجمهورية صغيرة . والثاني أن المعلمين ينتقون من خيرة
السكان حتى ان أعلى الوظائف في الدولة ليست مقفلة دونهم
فهم ليسوا في وظيفة التعليم لنقص كفاياتهم في تأدية الوظائف
الآخرى . واليك الآن ما يقوله عن تعليم التاريخ الطبيعي
الذي ابتدأت مدارس مصر الثانوية أخيراً فقط في تعليمه :
« يرى التاريخ الطبيعي هنا مرسوماً بالتفصيل على الجدران
بأعظم مقدار من المهارة . فهيئة السماء ومناظر الارض في
مناطق مختلفة وشعوب الانسان المختلفة وأمثلة الحيوان وهيئة
الاحياء وصنوف الاحجار والجواهر كلها مرسومة ومسماة
يتعلم منها الطلبة طبيعتها ووصافها أوليس من الحق
أن معرفة أشياء هذه الارض أسهل في الايضاح اذا كانت
هناك أمثلة توضح الى جانب دليل يساعد الذاكرة ؟ وذلك
لان العلم يجوز الى الذهن عن سبيل العين بأيسر مما يجوز اليه
عن سبيل الاذن »

وقد قلنا ان المؤلف ألماني فهو لذلك لا يترك صغيرة
ولا كبيرة في هذه المدارس حتى يخصصها ، يصف معامل

الرياضة ومعامل الطبيعة والتشريح والصيدلة بدقة كأنه يهيء
ترسيماً لمشروع سيتحقق . وهو على حبه الالمانى للعلوم لا يهمل
أمر الفنون فهو يقول : « امام معمل الصيدلة دكان واسعة
للفن التصويري وهو فن يلذ لاهل المدينة العناية به . لان
المدينة فضلاً عن أنها مزينة بصور ورسوم تمثل أشكال
الارض المختلفة تستعمل الرسوم في هذه الدكان لتعليم
الشباب وتسهيل هذا التعليم لهم . . . ثم ان صور العظماء
وتماثيلهم ترى في كل مكان وفيها كلها ما يبعث في الشباب
عاطفة تقليد هؤلاء العظماء في فضائلهم . . . »

ومعبد المدينة هو بالطبع أهم بناياتها يحوي من بدائع
الفن ما لا يحويه غيره . ولكن أندريا كان كما قلنا رجل دين
وقد زار جنيف ووقع تحت تأثير كلفن . فهو لذلك يجعل
العبادة في المعبد اجبارية . والاجتماعات العمومية تعقد في
هذا المعبد كما أن المهازل (القومديات) الدينية تمثل فيها

والآن وقد ذكرنا شيئاً عن الصناعة والتعليم والعائلة
فلنقل شيئاً عن الحكومة . ففي المدينة مجلس مؤلف من ٢٤
عضواً . والهيئة التنفيذية لهذا المجلس مؤلفة من ثلاثة أشخاص
هم الوزير والقاضي ومدير التعليم . وأولهم يمثل ضمير الامة
والثاني افهم والثالث الحقيقة . واليك ما يقول الآن عن

عقاب المجرمين : « ان قضاة » المدينة المسيحية « يتبعون هذه العادة وهو انهم يعاقبون بأقصى العقوبات تلك الجرائم التي تقع من انسان نحو الله . ثم يعاقبون بأقل قسوة تلك الجرائم التي تقع من أحد نحو الناس . وأخف ما يعاقب عليه أحد هو تلك الجرائم التي تقع بالاملاك . وأهل المدينة يكرهون اراقة الدماء وهم لذلك لا يستيحيون لانفسهم عقوبة الاعدام . . . لان كل انسان يمكنه أن يقتل ولكن لا يقدر على الاصلاح الاخير الناس »

أضغاث أحلام

اللورد بيكون (وُلد سنة ١٥٦١ ومات سنة ١٦٢٦)
وتوماسو كامبانيلا (وُلد سنة ١٥٦٨ ومات سنة ١٦٢٦)

بيكون وكامبانيلا كلاهما مشهور بحلمه وأولهما انجليزي
وثانيهما ايطالي ولكنك اذا تفحصت أحلامهما عن المثل
الاعلى للهيئة الاجتماعية الفيت هذه الاحلام أضغاثاً مجموعة
من تلك الرؤى الرائعة التي ألهمها مور وافلاطون من قبلهما
مع زيادات طفيفة تدلنا على روح الزمن الذي وضع فيه
هذان المؤلفان كتابيهما

فكامبانيلا يحلم بما يسميه « مدينة الشمس » وهي وراء
خط الاستواء . وهي لا تختلف عن جمهورية افلاطون من
حيث شيوعية النساء وشيوعية الاملاك . وانما نجد في
كامبانيلا بعض عبارات تنبىء بالقرنين الثامن عشر
والتاسع عشر . فهو يقول مثلاً ان عند سكان مدينة الشمس
« زوارق تسير على الماء لا بقوة الريح ولا بقوة المجاذيف
وانما باختراع عجيب » ثم ان احد سكان المدينة يحدثه فيقول
آه . لو أنك تسمع ما يقوله المنجمون عندنا عن الازمنة
اقادمة نسيكون في القرن الواحد منها من التاريخ أكثر مما

في أربعة آلاف سنة ماضية . أجل ستكون فيها مخترعات
الطباعة العجيبة والمدافع والمغناطيس . . . « ولما كانت
 المخترعات كثيرة في « مدينة الشمس » وسائرة في طريق
 النجاح فان أهل المدينة ليوا في حاجة الى استعمال الرقيق .
 ثم « هم أغنياء لا يحتاجون الى شيء . وفقراء لانهم لا يملكون
 شيئاً . وعلى ذلك فهم ليسوا عبيداً للظروف وانما هم أنفسهم
 يستخدمون هذه الظروف »

ففي هذا الكلام ايماء الى المستقبل الذي كان يحس به
 كامبانيا . فقد بدأ ضمير الانسان يستيقظ في زمنه ويتساءل :
 هل ما أقرته الآلهة القديمة من الرق جدير بان يقره الانسان
 الجديد ؟ وهل لا تقوم المخترعات يوماً ما بعمل الانسان
 بحيث تزول عنه لعنة آدم أو توشك ؟ ثم يجب كامبانيا
 بالانجاب ويلغي الرق ويقصر العمل الذي يحتاج اليه الناس
 الى أربع ساعات فقط وذلك لانهم كلهم يشتغلون ولان
 المخترعات توفر لهم وقتهم

وأحلامنا على وجه العموم تبع لمزاجنا ومألوفنا . وعلى
 ذلك نقول انه لما كان مور وأندريا متزوجين لكل منهما
 عائلة كانت العائلة أساساً من أسس الهيئة الاجتماعية التي
 تخيلها كل منهما . ثم لما كان افلاطون وكامبانيا أعزبين كانت

شيوعية النساء أحد أركان الهيئة الاجتماعية التي رآها كل
 منهما في رؤياه . فالانسان يتخيل وفق طبعه ومألوفه .
 ولكن يجب أن نقول ان افلاطون نفسه مع انه كان أعزب
 لم يكن يؤمن كل الايمان بشيوعية النساء . وانما هو قصر
 هذه الشيوعية على الطبقتين السائدتين . أما طبقة المزارعين
 والصناع وهم بالطبع جمهور المدينة أو الامة فانه لم يقل
 بشيوعية النساء بينهم مما يدل على انه كان يدرك أن الزواج
 الذي يؤسس العائلة ضرورة لكثرة الامة . وهو في حرمانه
 رجال طبقة الاوصياء وطبقة المقاتلة من الزواج وتأسيس
 العائلة انما يتقاد الى تلك الفكرة التي تقول باستحالة خدمة
 غرضين . وهي الفكرة التي أوجدت الرهبان وهي التي تجعل
 رجل الفن يمتنع أحياناً كثيرة لمصلحة فنه عن الزواج . فكما
 ان الراهب المسيحي لا يتزوج ارصاداً لنفسه على خدمة
 الدين ووفقاً لمواهبه على العبادة كذلك كان يرغب افلاطون
 في أن يرى الوصي أعزب يقف كل جهوده على مصلحة الامة
 لا على زوجته وأولاده . فالقاعدة عند افلاطون هي الزواج
 أما الاستثناء فهو الاباحية المقيدة

ولننظر الآن في سيكون وأضغاث أحلامه . فقد رأينا

ان كامبانيا لا لم يأت بطائل وكذلك الحال في يكون بل
خيال يكون مقصوص الجناح اذا قيس الى خيال كامبانيا .
ثم في جناحه ريش مستعار اكثر مما في جناح كامبانيا .
وكثير من هذا الريش المستعار قد رأيناه على أصله في خيال
أندريا وفي رؤيا افلاطون . فلا حاجة الى التكرار

وأهم ما في رؤيا يكون هو « بيت سليمان » وهو
مؤسس أشبه شيء بالسكليات الغاية منه « معرفة علة الحركة
في الاشياء وأسرارها وتوسيع سلطة الانسان حتى لا يعجز
عن عمل أي شيء ممكن » وفي هذا المؤسس معامل أو
مختبرات محفورة في جوانب التلال ومراصد يبلغ ارتفاع
أبراجها نصف ميل . وفيها برك من الماء الملح والماء العذب
يبدو من أقوال يكون انه يريد منها أن تكون مختبراً لتربية
الاسماك وسائر الاحياء المائية . ثم فيها آلات تدوير الاشياء .
ثم هناك أيضاً مصحح لتجربة الادوية وقاعات كبيرة لعرض
التجارب الطبيعية ومراكز زراعية كبيرة لعمل التجارب في
التطعيم . ثم المعامل الصيدلية والصناعية ومعامل أخرى بعمل
الاختبارات في الصوت والضوء والطب والعلوم . فهذه
كلها يقول يكون انها في « بيت سليمان » ويجمعها ركاماً
مشوشة بلا تنسيق أشبه شيء بالذكورات منها بالرؤيا المرتبة .

ومن هذه الكلية أو « بيت سليمان » يخرج اثنا عشر عالماً إلى البلاد الأجنبية للسياحة وجلب الكتب الغربية وكتابة التقارير عن المخترعات والأشياء العجيبة التي يرونها في سياحاتهم . وهذه الكلية هي أهم شيء في مدينة يكون التي يسميها « اتلنتيس الجديدة » وسائر ما في هذه المدينة لا يختلف عما رأيناه في افلاطون وأندريا

وهذه الكلية كما وصفها يكون هي الحلم الذي لا يزال يحلم به للآن علماء الكليات وقد أوشك أن يتحقق بعضه مثلاً في « مؤسس روكفير » في الولايات المتحدة . وهو يدلنا على هموم يكون وانما كانت هموم رجل عالم جدير بان يكون أحد أركان النهضة الأوروبية . فهو القائل بالعقل بدل النقل يريد أن يبني الحقائق على التجربة والاختبار وأن يعي قوى الإنسان إلى ترقية العلوم والمعارف ويحشد لهذه الترقية جميع الكفايات التي في الأمة . ثم هو لا يترك فرعاً من فروع المعارف الإنسانية صناعة كان أو زراعة أو طباً أو غير ذلك إلا ويهيئ له وسائل التجربة والاختبار الذي عليه تنبني أصول هذا العلم أو الفن . ومع ما في رؤياه من التشوش والخلط فإنه قد رسم لنا ترسماً يوشك أن يكون كاملاً عن كلية يقصد منها تقديم العلوم وترقية المعارف

عصر الصناعة وأهمه

يتسم القرنان الثامن عشر والتاسع عشر بظهور
المخترعات الصناعية ووفرتها . ولو قيست هذه المخترعات
في هذه المدة القصيرة الى مخترعات الانسان الآلية منذ
خمسین الف سنة لأربت عليها ان لم يكن في الفائدة ففي تعدد
اصنافها وتنوع أعمالها . فهذه الكثرة وحدها كانت من
الدواعي القوية الى ان يفكر الانسان في مستقبل الآلات
وان يرجو منها ان تقوم مقام العامل نفسه وتوفر عليه راحته .
ثم كان من ظهور الآلات واقبال الناس على الصناعة ان
انتقلت الثروات الضخمة من البيوت القديمة الى أفراد
محدثين فحدث من هذا الانتقال نزاع في الهيئة الاجتماعية
لعدم انطباق الجديد على القديم وانتهى الحال الى الثورة
الفرنسية . وليست الثورات في الحقيقة الا محاولة عنيفة
لاصلاح القديم الذي يتنافر مع الجديد فان لم ينجع الاصلاح
فان الثائر يعمد الى الهدم . وكل هذه الاحوال تربة صالحة
لان يغرس فيها رجل المثل الاعلى ما يتوهمه من هيئة اجتماعية
وما يحلم به من اصلاح

وقد سبق ان قلنا ان الانسان ازاء الوسط الذي يعيش فيه ويشعر بفساده او ثقل أنظمته احد ثلاثة . فهو اما أن يفر منه ويتحول عنه الى وسط آخر يوافقه . واما ان يدافعه ويحتمي منه . واما ان يهاجمه متعمداً ابداله

ونحن اذا نظرنا الى رجال القرن الثامن عشر الفينايم من الصنف الاول يبغون الهروب . فقد تعاضهم الفساد فأثروا تركه على معالجته . ففهم جميعهم روح روبنسون كروزو يرضى بحال البداوة الساذجة في جزيرة قصية ويعيش منفرداً له كهفاه من العيش يؤثر هذه الحالة على حضارة المدن وما فيها من ترف وتكلف وعجيج . فجان جاك روسو مثلاً يؤلف الكتب عن فساد الحضارة وما في انتشار العلوم والآداب من الاذى للناس ويصيح بالناس ان عودوا الى الطبيعة . ثم هناك شاتوبريان لا يرى الجمال والجلال الا في ذلك « المتوحش النبيل » الذي يعيش على الفطرة في بادية اميركا ثم يفحص نفسه فاذا به هو نفسه ذلك « المتوحش النبيل » الذي يهوى الهروب من الحضارة . ثم هناك برناردين سان بيير قد اشمأزت نفسه من الحضارة وتكاليفها فلم يجد مسرحاً يمثل عليه خياله عن السعادة الا في اقاصي جنوب افريقيا حيث الطبيعة لم تزل بكرّاً حتى سعادة الحب ووساوس

الغرام تدب في الجسم مفاجئة فلا يديرها الشاب وتخطئها
الفتاة لانهما من بدادة العيش بحيث يغمرهما الجهل
والسذاجة وكلاهما أساس السعادة في رأي هذا الفار من
مكالحة الحضارة

والتزوع الى الطبيعة وسذاجتها والى البدادة وحررتها
هو ردة في نفس كل انسان . ونحن أكثر ما نكون شعوراً
بقوة هذه الردة عندما تكثر علينا تكاليف الحضارة . ولو
كان كل رجال المثل العليا من طينة هؤلاء « الرهبان »
الذين يفرون من مواجهة الحقائق بتوهم فردوس لا يمكن
تحقيقه لما تعيننا في سرد احلامهم . فإنا نحن نغنى هنا بأولئك
المكافحين المهاجرين الذين يرسمون لنا بناء حضارة جديدة
كاملة او شبه كاملة غير تلك التي يعيشون فيها

واذا عدت « طوييات » الفلاسفة أو احلامهم التي
تخيّلوا فيها من النظم ما هو أرقى مما لديهم لكان ثلثا هذه
« الطوييات » ينسبان الى القرن التاسع عشر . والثلث الباقي
الى سائر القرون . وإنما ذلك لكثرة مخترعات هذا القرن
وانتشار الصناعة فيه واختلال التوازن في هيئته الاجتماعية
اختلالاً فادحاً واضحاً وظهور طبقة من الناس تستبد بالعمال

وتستأثر بالربح العظيم ولا ترضخ لهم الا باليسير الذي يقوم
يكفاهم او باقل منه

فقد كانت الصناعة قبل ظهور الآلات في ايدي صناع
يشتغلون بأيديهم . فالحذاء يشتري آلاته باقل الأثمان وينتج
ناحية من المدينة يفتح فيها دكاناً فيصنع الاحذية ويبيعها
بنفسه . يفعل ذلك كله وهو راض عن نفسه وعن حكومته
وعن الحضارة التي هيأت له هذا النظام . ولكن ظهرت بعد
ذلك الآلات فصارت تصنع آلاف الاحذية في وقت قصير
وغمرت السوق ببضائعها حتى لا تكاد تتسع لما يصنعه ذلك
الحذاء البسيط . فهي تدفعه الى ان يكون عاملاً في ذلك
المصنع الكبير الذي يصنع اشيائه بالآلاف . وقل مثل ذلك
في سائر الصناعات . فان الصناع الذين يصنعون بضائعهم
بأيديهم قد استحالوا عمالاً لا رأس مال لهم يطردهم المعمل عند
تكديس بضائعه وينزل أجورهم الى أحط قيمة تضمنها مزاحمة
العمال بعضهم لبعض . وينتج عن ذلك كله ان يبقى العمال في
فقر مدقع وان يثرى اصحاب المعامل اثراءً فاحشاً وان يدعو
هذا التفاوت بين الحظين الى تدمير العمال والى ظهور الحركات
الاشتراكية . وليس غريباً أن تظهر لفظة (Socialism)
الاشتراكية (حوالي سنة ١٨٢٥ . وليس النظام الاشتراكي

سوى « طوبى » يتمنى العمال تحقيقها في مستقبل الايام . فهي الآن امنيتهم وحلمهم ولكن يبدو من تصفح الاحوال السياسية في الامم الغربية انهم صابرون الى تحقيق هذه الطوبى او ما يشبهها . ومعظم الطوبويين او رجال المثل العليا في القرن التاسع عشر هم او اكثرهم لهذا السبب من الاشتراكيين . فهو لا الاشتراكيون يتقدم الآلات والمقادير العظيمة التي تنتجها من البضائع فيتسائلون : لم لا تملك الامة هذه الآلات وتصنع بها ما يكفي الناس من اللباس ؟ ولم لا تستعمل هذه الآلات في الزراعة فيتوافر للفلاح وقته ليقضي منه ما يشاء في تربية نفسه والترفيه عنها ؟ ولم يرح الممولون كل هذه الاموال التي يغلبها عليهم الحديد والنار او ليس من العدل ان تكون المحترعات شائعة يستغلها كل افراد الامة في شخص الحكومة ؟

واول رؤيا نصفها من رؤى القرن التاسع هي رؤيا شارل فورييه (وُلد سنة ١٧٧٢ وهاك سنة ١٨٣٧) وهو من زعماء الاشتراكية في فرنسا . فقد رأى فورييه فيما يرى القبطان ان جماعة يبلغ عددها نحو ١٦٠٠ نفس تعيش معا يقوم اعضاؤها بجميع حاجاتهم . والامة التي منها هذه الجماعة مقسمة جماعات على هذا النمط كل منها تتكفل بحاجاتها دون

الاتجاء الى جماعة اخرى . وللانسان في رأي فورييه شخصية مثلثة « فهو صناعي يبغى المؤلفه بينه وبين الوسط الذي يعيش فيه بالصناعة . وهو اجتماعي يبغى المؤلفه بينه وبين الجماعة التي ينتسب اليها . وهو ذهني يحتاج الى كشف النواميس التي تعمل لنظام هذا الكون » وهو لهذه الشخصية المثلثة يضع جماعته المكونة من ١٦٠٠ نفس في بقعة مختلفة المناظر والنواحي فيها الجبل والنهر والغابة والسهل والمدينة . وصناعة الاهالي الاصلية هي الزراعة ولكن الاهالي مع ذلك يمارسون جميع الفنون والصناعات الاخرى اذ أن كل جماعة مستقلة عن الاخرى

وفي وسط البقعة التي تقيم فيها الجماعة بناء « هو قصر كامل يقوم بحاجات المجتمعين له ثلاثة أجنحة أحدها صناعي وآخر اجتماعي وآخر ذهني . ففي الاول المصانع وقاعاتها . وفي الاخير المكتبة والمجموعات العلمية والمتحفات وقاعات رجال الفن ونحو ذلك . اما الجناح الاجتماعي ففي الوسط وهو يحتوي قاعات الطعام والاستقبال والسمر . وفي أقصى القصر معبد المؤلفه الحسية وهو خاص بالرقص والغناء والموسيقى والشعر والرسم ونحو ذلك . وفي أقصى القصر من الناحية الاخرى معبد الاتحاد الذي يحتفل فيه بالشعائر اللاتقة باتحاد

الانسان بالكون . وهنا برج ومرصد به تلغراف للاتصال
بساتر الجماعات »

وهذا البناء هو بالطبع المدينة كلها يعيش أهلها معاً لهم
مطبخ واحد ومنذ الصغر يتعلم الاطفال كيفية الطبخ وهم
يأكلون معاً وان كان من الممكن ان يتناول كل انسان طعامه
بمفرده على عزلة . ولكل واحد من الجماعة مقدار معلوم
من الطعام والغذاء والمسكن والملهى يتساوى فيه مع سائر
أفراد الجماعة بغض النظر عن العمل الذي يزاوله . ثم فوق
ذلك له أن يحصل على امتيازات أخرى يخوله اياها ماله من
الاسهم في شركة هذه الجماعة . فهنا تميز بين العامل المجد
والعامل الخامل وهنا ايضاً ترخيص بالامتلاك الفردي الى
درجة ما . فالجماعة مساهمون يعيشون عيشة شيوعية يتساوون
فيها كلهم ثم يمتاز منهم الحاصل على اسهم اكثر من غيره .
ولكن هذا الامتياز قليل الاثر لان الربح في النهاية بعد
الانفاق على هذه العيشة يكون صغيراً لا يؤبه به . فهذا كما
يرى القارىء شبه توفيق بين مبدأي الشيوعية والانفرادية
والصناعات تمارس على نظام واسع اقتصاداً في النفقة
كل عامل يختص بجزء من العمل حتى ينجز الكثير منه في
القليل من الوقت . والجماعة تتجر مجتمعة كأنها هيئة واحدة

فتتبع للجماعات الاخرى ما هي في غنى عنه وتوزع الارباح
على اعضائها بنسبة ما لهم من الاسهم فيها على نحو ما تفعل
الجمعيات التعاونية الآن .

والمرأة في هذا النظام حرة تشتغل كما يشتغل الرجال .
ويرى فورييه ان الزواج لا يوافق هذه الحرية . ففي البناء
مكان لتربية الاطفال الرضع . وللجماعة جيش لا يعبأ للحرب
وانما يسير لمكافحة الطبيعة لشق الانهار وزرع الغابات وبناء
الجسور وتخفيف الارض النازة ونحو ذلك ويرى فورييه في
ذلك مصرفاً لنشاط الشباب يقوم مقام الحروب

يختلف روبرت اوين (١٧٧١ - ١٨٥٨) عن بعض
من ذكرناهم من حيث انه لم يستسلم للخيال كل الاستسلام
وانه قصد الى ايجاد هيئة اجتماعية تيسر اقامتها . فقد عاش
هو نفسه بين عمال وأدار المصانع وعرف تلك العلاقة بين
الآلة والانسان وامكان جعلها وسيلة للاصلاح او للافساد
ولم يكتف بالكتابة والشرح بل عمد الى العمل فاسس جملة
مصانع اجراها وفق آرائه بالاشتراك مع بنتام المشرع الشهير .
وانتهت تجاربه العملية هذه بالاخفاق
ولما كان موضوع كتابنا هذا أحلام الفلاسفة فاننا

لا نرى من الرأي أن ندخل في شرح أعمال اوين وإنما ذكرناه عرضاً لأنه مشار إليه في الاشتراكية وكانت له هم بارزة في جميع حركات العمال وأثر عظيم في احلام من جاءوا بعده

ولننتقل الآن الى خيالي مشهور هو جيمس بكنجهام (١٧٨٦ — ١٨٥٥) عاش أكثر أيامه في الشرق وكان محرر عدة صحف انجليزية في الهند وكان مع ذلك جوابة أفاق رحالة لا يستقر فزار عدة أقطار وهو ينظر ويتبصر ثم وضع كتاباً عن « الشرور الالهية والعلاجات العملية وترسيم لبلدة أنموذجية » وظهر هذا الكتاب في سنة الثورات التي شملت أوروبا كلها تقريباً وهي سنة ١٨٤٨. وفي هذا ما يدلنا على البواعث التي تبتعث هذه الاخيلة في عقول المفكرين

وما هي هذه البلدة الانموذجية؟ هي بلدة تدعى فكتوريا يؤسسها أفراد مشتركون على طريقة الشركة المحدودة المسئولية (ليمتد) وتحتوي هذه البلدة على جميع التحسينات الجديدة « من حيث الصقع والترسيم وصرف المجاري والتهوية والبناء والماء والضوء وسائر الممتعات » ومساحتها

ميل مربع وعدد سكانها لا يزيد على ١٠.٠٠٠ نفس . وعلى طرف المدينة تؤسس المصانع ومصنوعاتها ملك للشركة لا للأفراد الذين يصنعونها . وحول المدينة ضيعة تبلغ ١٠.٠٠٠ فدان هي ملك للشركة أيضاً كما ان البيوت وسائر العقارات لا يملكها الافراد وانما تملكها الشركة . وهذه الشركة تستغل كل هذه الاشياء وتوزع الارباح على الافراد بنسبة ما لكل منهم من الاسهم فيها . ولا يجوز الاشتراك فيها لاحد ما لم يكتب على الاقل بعشرين سهماً ويثبت حسن نيته للمدينة ويكتب على نفسه عهداً يشرط على نفسه فيه الامتناع عن تناول الخمر أو العقاقير أو التبغ

وسيكون بالمدينة مغالـل ومطابخ ومطاعم عمومية . ومكان عمومي أيضاً لتربية الاطفال الرضع . ويكون التعالـج بالمجان كما يجري في الجيش . ولن يكون بالمدينة قضاة ومحاكم وانما تكون هناك شرائع مسنونة يتعهد الاهالي بالسير عليها . فاذا حدث اختلاف اختار المتخالفان حكماً ليفصل في خلافهم . والاهالي يتعهدون في جملة ما يتعهدون به عدم الشكوى الى المحاكم والرضا بما يحكم به الحكم المختار . وهذه التعهدات ضرورية لان مدينة فكتوريا يراد اقامتها في وسط أي دولة

فلا بد لذلك من هذه التعهدات حتى تعيش مستقلة عما حولها
في ادارتها وقضائها

والمشروع انجليزي أينما نظرت اليه . فهو عملي يمكن
اقامته في أي مكان فلا يجبر الناس عليه ولا هو في حاجة
الى أن تجربه أمة بأسرها اذ يكفي لنجاح المشروع أن يقوم
به ١٠٠٠٠ نفس . ويقول بكنجهام انه اذا تأسست مثل
هذه الشركة ونجحت سارت سائر البلاد على طريقها .
وهو في لبه كما يرى القارىء شركة تعاون كبيرة تباع الغلات
بنفسها ثم تقسم الارباح على مساهميها

من أعلام القرن التاسع عشر

أحلام القرن التاسع عشر كله وما يليه من ربع القرن العشرين هي كلها أحلام الآلات والعمال وكلها تتجه بالطبع وجهة اشتراكية شأن جميع الاحلام الماضية . ولكنها تمتاز منها بالعناية اكبر العناية بالعمال وبجعل الآلات أساساً للهيئة الاجتماعية . . وهاتان الميزتان كلتاهما لم يكن افلاطون يعرفهما . فهو كما يذكر القارىء حذف من ذهنه مسألة الصناعات والعمال ولم يبال بهم الا أقل المبالاة أما الآلات في زمنه فلم تكن لها من الخطورة والاثّر في الهيئة الاجتماعية ما يدعو الى التفكير في شأنها . ولكن كل هذه الاحوال قد تغيرت في القرن التاسع عشر اذ هو يشترك وقرننا في انه عصر الآلات وعصر العمال معاً

ومن أصحاب الاحلام المعدادين في القرن التاسع عشر آتين كايه الذي وُلد سنة الثورة الفرنسية ١٧٨٨ وتوفي عند بداية امبراطورية نابليون الثالث سنة ١٨٥٦ . فرأى في صباه أحد مرده التاريخ نابليون الكبير وعبر القرن التاسع عشر بثوراته الكبرى سنة ١٨٤٨ وبمخترعاته العديدة التي

هي في الحقيقة أبعد أثراً من الثورات في النظم الاجتماعية
وميدان الحلم «ايكارية» وهي اقليم مقسم على طريقة
الثورة الفرنسية الى أقسام اعشارية . فيه مائة مديرية تستوي
كلها في المساحة وعدد السكان وكل من هذه المديريات
ينقسم الى عشر مراكز متساوية أيضاً لا يراعي كايه في
ذلك اختلاف السهل من الجبل أو الوادي الجديب من
الوادي الخصب فانما هو يقسم مملكته كأنها رسم على
الورق ينزع هذه النزعة بقوة الثورة الفرنسية التي أسست
الطريقة المترية . وفي وسط «ايكارية» تقوم مدينة «ايكاره»
عاصمتها وهي أشبه شيء بباريس لها نهرها أيضاً كما لباريس
نهر السين . والمدينة مستديرة يشقها نهرها نصفين متساويين .
ويقوم على الشطين جداران مشيدان من الحجر لمنع انهارهما
وقد كرى النهر حتى بعد قعره وحتى صارت بواخر
الاقيانوسات تمخر فيه وتنقل البضائع الى ايكاره ومنها .
وبها خمسون شارعاً توازي النهر وخمسون أخرى تقطعه .
وقد خاتته الطريقة العشرية هنا لان المدينة كما سبق قد كرنا
مستديرة فكيف تتفق استدارتها ونظام هذه الشوارع ؟
والمدينة مقسمة الى ٦٠ حياً كل منها يحتوي على مدرسة
ومستشفى ومعد وحوانيت . والمدينة مبنية عمارات بكل
(٥)

عمارة ١٥ منزلاً تحيط ببستان عمومي

والقرى في اقليم «ايكارية» تشبه المدينة من حيث التخطيط
والمؤلف مهموم بالعاية بالصحة وبالرفاهية في الشارع . فمماشي
الناس الى جانبي الشوارع مظلة بالزجاج وكذلك المحطات
(الست هي الآن كذلك ؟) أما الاصطبلات والمجازر
والمستشفيات فتقع خارج القرية أو المدينة . وتقوم المصانع
والمخازن على النهر أو الى السكك الحديدية لتسهيل النقل
والآن لننظر في النظام السائد الذي يجري عليه السكان
كان آتين كاييه مشبعاً بروح الزمن الذي عاش فيه .
وكان نابليون يشمخ فيه كالمارد ولذلك بدأ كاييه حلمه بأن
تحيل «ايكار» أميراً مستبداً يملئ على الناس نظام حكمته
فلا يخالفه احد . وخير ما يوضح هذا النظام هو وصف حياة
أحد السكان

يبدأ الايكاري يومه في الساعة السادسة فيتناول فطوره
في المطعم أو في المصنع . وقد قررت ألوان الفطور لجنة من
العلماء نظرت في قرارها الى صحة المفطرين . وكأني بك تشك
في هذا الطعام وهل يساغ على الرغم من قرار العلماء . وقد
شك قبلك كاييه وأذن للسكان بأن يفطروا كما شاءوا واينما
شاءوا . واذا أفطر الايكاري قصد الى عمله فيشتغل في

الصيف ٧ ساعات وفي الشتاء ستمائة. والمؤلف من أهل البلاد الباردة يرتاح الى العمل في الصيف على عكس ما هو حاصل عندنا. وجميع اهالي ايكارية يعملون هذا العدد من الساعات بيلا امتياز أحد من آخر

والحكومة هي صاحبة المصانع وهي التي تنظم أوقات العمل بيلا هي التي تملك أيضاً الخيول والمركبات التي تنقل البضائع. ففي اشتراكية لا غش فيها ومن هنا كانت « رحلة الى ايكارية » من الكتب التي تداولتها أيدي العمال كثيراً منذ طبعته الاولى سنة ١٨٤٥ وكان هذا الكتاب ذا أثر في تشجيع العمال في أوروبا بالفكر الاشتراكي

وعند ما يفرغ الايكاري من عمله يخلع ملابسه. تلك الملابس التي قررتها « لجنة الملابس » على نحو ما تقرر ادارة الجيش ملابس الجنود. والواقع ان الايكاريين جنود قد عبثوا للصناعة يجري عليهم نظام الجيش في جميع شؤونهم

وقبل أن يولد الايكاري تتلقى أمه دروساً في واجبات الامومة. فاذا بلغ الخامسة تناولته يد الحكومة بالتربية طبقاً لبرنامج منتخب يتفق فيه جميع شباب الايكاريين الى السنة الثامنة عشرة للذكور والسابعة عشرة للاناث وعندئذ ييسر كل شاب أو شابة في دراسة خاصة توافق الصناعة التي

سيتخذها فيما بعد . وهذه الصناعات محدودة معينة ترؤسها كلها لجنة تحصى عدد الصناع في جميع المصانع كل عام وتحصي مقدار البضائع المحزونة ثم تعين حاجتها الى عدد الصناع المطلوبين في كل صناعة وتأخذ من متخرجي المدارس من تحتاج اليهم من الفتيان والفتيات . والرجل يحال على المعاش اذا بلغ الخامسة والستين والمرأة اذا بلغت الخمسين

ولا يمكن الايكاري أن يتزوج قبل بلوغه العشرين أما الفتاة فيمكنها ذلك عند بلوغها الثامنة عشرة . أما الحكومة فكانت في نشأتها استبدادية لان كايه تخيل « ايكار » شخصاً له ارادة نابوليون وسلطانة يعمل للاصلاح . ولكن بعد موته صارت نياية لكل مديرية مجلسها وللإقليم كله مجلس منتخب من هذه المجالس وله هيئته التنفيذية التي تدير البلاد . والحكومة تصدر الصحف ولكن هذه الصحف مقصورة على اراد الاخبار دون ارتياء الآراء لكي لا تكون منها ذريعة لتثبيت قدم الحكومة

ومن يقرأ « رحلة الى ايكارية » ويرى كيف ابتدأت بحكومة مستبدة تضع يدها على جميع المصانع والمدارس . والصحف يشعر كأنه يقرأ تاريخ الشيوعية الحديثه في روسيا . والحق أن الشيوعيين في روسيا يطبقون الآن على الحياة حكاماً

من أعجب احلام القرن التاسع عشر وفائدة هذه الاحلام
أو عدمها رهين بنجاح روسيا في تجربتها الرائعة التي لا يعرف
لها مثيل في التاريخ

٢٠٠٠ سنة

حلم لادوارد بلامي (١٨٥٠ - ١٨٩٨)

كان أوين وكاييه كلاهما اشتراكي يتخيل على يقظة
ويحلم بتدبر ويقصد الى التطبيق والعمل . وقد أنشأ كل منهما
مستعمرة لتجربة نظريتهما وتحقيق خياليهما في المجترة
واميركا . وأخفق كلاهما

ولكن ادوارد بلامي لم يكن مثلهما . فقد كانا هما
مصلحين يدرسان العمران وأحوال العمال والصناعات . أما
بلامي فكان أديبا اميركيا اعتنق الاشتراكية فوضع قصته :
« نظرة الى الورا » يصف فيها العالم كما تحيله سنة الفين
وينتقد أحوالنا الراهنة في ضوء تلك السنة البعيدة وكل ذلك
بلهجة أديب قد حذق فن القصص ولذلك لا تزال قصته
شائعة بين الجمهور الانجليزي والاميركي وخاصة بين
أوساط العمال

وهو يبدأ قصته بأن أحداً نومه تنووما مغنطيسيا فلم
يستيقظ الا في سنة ٢٠٠٠ . وكانت له قصة غرام مع آنسة
سنة ١٨٨٧ وهو يصل غرامه القديم بحفيدتها سنة ٢٠٠٠ مملا

لا شأن لنا في تفصيله لان غايتنا هو وصف ما وضعه لنا من
الترسيمات للاصلاح

ولم يصف بلامي شيئاً عظيماً الا من حيث الحجم أما
من حيث المتانة فان بناءه أرك بناء وأكثره تداعياً . فاذا
أنت قرأت القصة سما بك ادبها الى خيال راق ورفيع
قصدها العالي الى أسمى العواطف ولكنك اذا وقفت
وتأملت شعرت كأن بلامي يصف لك مدينة كبيرة من
ورق وان خيال افلاطون على ما به من سذاجة أمتن دعائم
وأوثق نظاماً من هذا الحلم الذي يراه بلامي في ختام القرن
العشرين . ولكنك مع ذلك تشعر بتلك الدوافع الشريفة
التي بعثت بلامي على أن يتخيل هذا الخيال . فهو يرغب في
أن يرى هيئة اجتماعية يقعد فيها الفرد الى المائدة لكي ينعم
بالطعام الفاخر ولا يرى انساناً واقفاً قريباً منه يحسده على
نعيمه ويتضور جوعاً . ويرغب في أن يرى التربية عامة
والتعليم شاملاً للجميع لان للجاهل منظراً كريهاً ينعكس
أثره على جميع أفراد الامة الذين يستوقرون من جهله ما لا
قبل لهم بحمله . ويرغب في ان يحمل على عاتقه شيئاً من
ذلك العبء الذي نخس به طائفة الزبالين والكناسين وغيرهم
لان مثل هذه الاعمال أشق وأقذر من أن تحملها طائفة

وحدها ويرغب أيضاً في أن يستوي الناس في فرصة الأثراء
 بحيث لا تكون الثروات من الصدف التي يصيبها بعض
 الناس ويخطئها البعض الآخر . وهو فوق كل ذلك أديب
 يرغب في ألا يمتن الحب وألا تقف اعتبارات الجزار أو
 البقال أو الخياط حجر عثرة في سبيل الحب المثمر بين فتى
 وفتاة يحجمان عن الزواج لأن الفتى لا يستطيع شراء كذا
 أو كذا مما تحتاج إليه الزوجة . ويرغب في حمل الناس على
 الحياة الساذجة وكفهم عن التكلف والتضع فيجب أن
 تصارح الفتاة حبيبها بأنها تحبه ويجب أن تلبس ما تشاء من
 اللباس البسيط وأن تفضي إلى الناس بأرائها بدون أن تمقيد
 يعرف جائر وحياء متكلف

وكل هذه الرغبات حسنة في ذاتها ولكن بلامى
 يخطئ عندما يريد تحقيقها في خياله . وهنا يجب أن تقف
 هنيئة لكي تتأمل في الفرق بين خيال افلاطون وبين اخيلة
 هؤلاء الحالمين من أبناء القرن التاسع عشر . فان افلاطون
 لم يعن قليلاً أو كثيراً بالعمل بل تركهم على ما كانوا عليه .
 ولكن جميع فلاسفة القرن الماضي لم يفكروا في اصلاح
 للهيئة الاجتماعية الا وكانت مسألة العمال هي المقدمة على كل
 المسائل . وعبرة ذلك هي أن عدد العمال قد كثر في هذا

القرن وصاروا هم جبهة الامة وكثرتها وهذا بخلاف الهيئات الاجتماعية القديمة . وغلة ذلك تفشي الآلات ومركز الثروات في أيدي قليلة وانهزام المالك الصغير أمام المالك الكبير . وهذا هو شأن بلامي فانه يبدأ طوباه أو مثله الاعلى للهيئة الاجتماعية بحل مسألة العمل فهو يقول : ان أهالي الولايات المتحدة كانوا في القرن التاسع عشر قد تدربوا على تنظيم أعمالهم بواسطة شركات كبيرة فما قارب أن يختم هذا القرن حتى اندمجت هذه الشركات ادارة واحدة وصارت قسماً من الحكومة وصار عمال هذه الشركات جيشاً كبيراً يتألف من شباب الامة جميعه وهم يشتغلون كالجيش تسيطر عليه الحكومة ويجري عليه نظامها ويتناول منها أجوره . والعمل في هذا الجيش الزامي كما هو في الجيوش العسكرية الحاضرة اذا تخرج الشاب من الكلية انتظم فيه ثلاث سنوات يؤدي فيها الاعمال الشاقة الوضيعة . فاذا انتهت هذه المدة تقدم للتخصص في احدى الصناعات أو الفنون التي تعلن الحكومة عن حاجتها الى عمال لها . فيبقى في تعلم هذه الصناعة أو الفن الى أن يبلغ الثلاثين ومدارس الحكومة المختلفة تؤهله للصناعة التي ينتقيها . وبعد ذلك يصير جندياً في جيش العمال العظيم الذي

تديره الحكومة وكل عامل مهما كان عمله يتناول أجراً
يستوي فيه هو وغيره من العمال قدره ٨٠٠ جنيه في العام
لا يمتاز في ذلك عامل لنشاطه عن عامل آخر لكسله . وكل
من لا يؤدي واجبه يعاقب . ولما كانت الاعمال تختلف من
حيث الصعوبة والسهولة فان الحكومة تحترز من اقبال الناس
على الاعمال السهلة وتجنبهم الصعبة بتقصير مدة العمل في
هذه وإطالتها في تلك والاجر مع ذلك لا يختلف في كلا
العملين ويجوز للعامل أن يستقيل ويحصل على معاش
٤٠٠ جنيه في العام اذا بلغ الثالثة والثلاثين أو أن يبقى في
عمله الى الخامسة والاربعين ويحصل عندئذ على الاستقالة
بمعاش كامل قدره ٨٠٠ جنيه

ولكن في هذا الجيش ثغرة فانه يلزم جميع الشباب
بالعمل فيه ما عدا أولئك الذين ينتمون الى حرفة المؤلف .
فان التأليف والاختراع خارجان عن هذا النظام ويجوز للعالم
او المكتشف او الاديب أن يمارس صناعته حراً كما هو
الحال الآن ويكتسب من الجمهور ما يشاء . ولا بد ان بلامي
وهو مؤلف قصصي قد عرف من أسرار صناعته ما يدعو
الى عدم الثقة بالحكومة . لان الحكومة بطبيعة وجودها
تميل الى الجمود وبقاء الحال الحاضرة والمتحترع والمكتشف

والاديب كلهم تقتضي صناعتهم شيئاً من الخروج على المألوف
وهم لذلك لا يجدون في الحكومة بيئة صالحة تزكو فيها أذهانهم
ولترجع الآن الى « جيش العمال » فنقول ان جميع
الاعمال من انتاج واستنفاد في حكومة سنة ٢٠٠٠ قد قسمت
الى عشر مصالح كل مصلحة تضم الى حظيرتها طائفة من
الصناعات المتجانسة . ولكل صناعة قلم خاص به السجلات
الخاصة بها وما يتوافر من الاجور فيها يؤثل في الآلات
والابنية التي تحتاج اليها هذه الصناعة . وهذا القلم هو الذي
يقرر اثمان السلع التي يصنعها ولكنه لا يمكنه أن يستبدل
قانون الدولة يحظر الزيادة في الثمن الا لنسبة معينة لما أنفق
على السلعة

ويرؤس « جيش العمال » رئيس الولايات المتحدة الذي
ينتخبه انتخاباً مباشراً جميع السكان بعد استثناء جيش العمال
وذلك لمنع استبداد الجيش بالاهالي . ولكن يبقى فرض
آخر وهو : هل يرضى هذا الجيش على كثرتة بأن يعين له
رئيس وليس له صوت في تعيينه وهل يعمل هذا الرئيس
شيئاً لزيادة رفاهية العمال وهو منتخب بهذه الكيفية ؟

وهناك شك في انه يمكن ادارة جيش كامل ليقوم بجميع
الاعمال في أمة كبيرة تبلغ نحو مائة مليون نفس . لان هذه

الاشتراكية الحكومية بعيدة عن أن تتحقق في جميع
الصناعات . ولسنا في ذلك ننكر أن بعض الصناعات تنجح
عن سبيل الاشتراكية الحكومية بل الاشتراكية البيروقراطية
أكثر مما تنجح في يد الأفراد كما نرى في السكك الحديدية
المصرية : ولكن هناك من الصناعات ما لا يمكن أن ينجح
إلا إذا عولج على مقاييس صغيرة وفي إدارات محدودة
المساحة ولكل بقعة شخصية تظهر في صناعاتها ولكل بيئة
طابعها على الصانع الذي يمارس إحدى صناعاتها . فلا اشتراكية
الحكومية لا تنجح في كل صناعة ولهذا نشأ بين الاشتراكيين
الرأي الجديد القائل بالاشتراكية البلدية حيث تقوم البلديات
بما تقوم به الأفراد مستقلة في ذلك عن الحكومة .

ولنلق نظرة الآن على الحياة الاجتماعية كما تخيلها بلامي
فنحن نجد في طوباه طائفة كبيرة جداً من المتقاعدين الذين
يعيشون عيشة الترف يحبون آفاق العالم بفضل المعاش
الكبير الذي يتناولونه أو يمارسون إحدى الصناعات التي
يهوونها أو إحدى الرياضات . وهنا بلامي يعنى عناية كبيرة
بالرياضة إذ يقول : « إذا كان الخبز أول حاجات الحياة فإن
الرياضة هي الحاجة الثانية »

ونجد طائفة كبيرة أخرى هي « جيش العمال » الذي

يقضي فيه الفرد ٢٤ عاماً وهو مرغم على العمل ارغاماً اذا
تباون فيه عوقب . وهذا في اعتقادنا ركن متداع من بناء
الهيئة الاجتماعية عند بلامي . فان هذه المدة أطول من أن
يحتملها انسان بالرضا

ولكل عائلة مسكنها ولسكنها في غنى عن الطبخ لان
لكل طائفة أو جزء من حي من المدينة مطعم كبير فيه غرفة
خاصة بكل عائلة . وفي المنزل أداة التلفون التي لا تستعمل
للتخاطب فقط بل لسماع الاغاني لان لها بوقاً يضخم الصوت
فتقعد العائلة في ساعة معينة وتستمع لخطب الوعاظ والسياسة
وأناشيد المغنين ، وقد لمح بلامي شيئاً من الراديو الذي
يستعمل الآن في كل مكان في أوربا عند ما خطر بباله
هذا الخاطر

ثلاثة من الانجليز

كلنا يعرف ذلك الشاعر الالماني الجسم الفرنسي
الذهن هنريخ هينه كيف حكى عن نفسه أنه بدأ بالتحمس
لديمقراطية واندفع للدفاع عنها حتى اذا رأى أن الديمقراطية
هي حكم الدهماء أو الغامة عاد فانكف عن دفاعه وتقلص
في نفسه واعتاض من حماسه السابقة فتوراً وخوفاً
ولقد كان القرن الماضي عصر ظهور الديمقراطيات
وهو ايضاً عصر فشل هذه الديمقراطيات . فقد كان
الظن اولاً انه اذا صار الحكم للامة انتفى الاستبداد وزال
الظلم . ولكن ظهر من تجارب هذا القرن ان كثرة
الامة اذا استوقرت تبغات الحكم لم تضطلع بها . لهذا جنح
أبناء القرن العشرين الى التفكير في إيجاد « آلهة » للحكم
ولن تنزل هذه الآلهة من السماء وانما هي تستولد من الانسان
على نحو ما حلم افلاطون بإيجاد طبقة من الحكام تقف نفسها
على النظر في مصالح المدينة دون أن تحتاج الى المبالاة
بمصلحتها ودون أن يكون لافرادها عائلات أو عقارات تشغلهم
وكما كان القرن الماضي عصر ظهور الجمهوريات كان
ايضاً عصر ظهور نظرية التطور التي أخذت منذ منتصفه

تملك على العقول مسالك التفكير وتصنع النظريات والاحلام
والترسيمات العمرانية بصيغتها . وهذه النظرية تتلخص من
الوجهة العمرانية في أنه يمكن ان يرتقي الانسان حتى يصير
الها أو سبرمانا كما ارتقى الانسان في الماضي من حيوانات
أدنى منه . وهذه النظرية من حيث عدد الداعين اليها
واشراب النفوس بها الانجليزية ولذلك ليس ما يدعو الى أن
نستغرب أن ثلاثة من كبار مفكري الانجليز قد حلموا بايجاد
الانتخاب صناعي يؤدي الى وجود طبقة راقية من الناس .
ولا يكون رقيها مع ذلك رقياً في أحوال الوسط الذي تعيش
فيه هذه الطبقة بل يكون في أجسامها وأذهانها

هكذا حلم شو واكننا سنضطر الى تركه لانه لم يؤلف
طوبى كاملة وانما ألقى جزافاً عدة مقترحات . وهكذا حلم
.ولز وهدسون . وكلاهما مشبع الذهن بنظرية التطور . فقد
بدأ ولز حياته الادبية بتأليف كتاب عن تشرح الارنب
وهو الآن يؤلف عن الآلهة تخرج من جسم الانسان تقيـة
طاهرة من أدراان الحيوان اما هـدسون (١٨٦٠ — ١٩٢٤)
فقد استأنف حياة جديدة للادب الانجليزي بأن فتح له
باب الطبيعة على مصراعيه . فهو أديب من عشيرة الادباء
الجديدة التي ستكثر في المستقبل ويتناول أديبها درس العلوم

كأنها فن من فنون الادب بل كأنها الادب كله . فهو يكتب
لك عن القط والاسد والغراب والجبال والانهار والانسان
وسائر ذلك الملكوت العظيم الذي حرمننا منه أدياء العرب
بتأليف الكلام استحساناً للجرس اللفظي ولبريق الكنايات
والاستعارات

ولكن قبل ان نصف طوبى كل من ولز وهدسون
يجب أن نلقي نظرة سريعة على طوبى أخرى من الطوبيات
التي تولدت من القرن التاسع عشر نعتي بها طوبى موريس
لانها أشبه بالقرن التاسع عشر منها بالقرن العشرين . وقد
كان موريس اشتراكياً تمذهب بهذا المذهب لبواعث فنية
فانه وجد ان النظام الاقتصادي الحاضر بما فيه من مزاحمة
بشديدة يبعث الصانع على ان يصنع اربذل المصنوعات
وأسخفها لكي يروجها في السوق . وان صاحب العمل
يستغل عماله الى أقصى حد فيعملون ساعات طويلة ويتناولون
أجوراً قليلة ويعيشون لذلك أضنك عيشة وازراها . وكان
(هو في نفسه سري الذوق عظامي النزعة يلبس القميص
الحريرى ويصنع الزوايق المذهبة والحروف الملمعة لاغلفة
الكتب . فكانت نزغته الى الاشتراكية نزعة الرجل
البار الذي راكت نفسه وسخت حتى يريد أن يرى في مدينته

ما يراه في بيته من جمال ولمعة وسرور . ويجب أن يرى في
سائر البشر ما يراه في نفسه من ثقافة وصحة ، يلبسون ما يلبسه
من حرير ويعيشون كما يعيش في رفاهة بل في ترف . ومثل
هذه النزعة تهيء الذهن لترسيم الرؤى الجميلة لولا ما يشوب
عقل الاشتراكي أو الشيوعي من القناعة بالاشتراكية والرضا
بأحلامها . لان الاشتراكية مهما قيل في مدحها تحتوي على
فقائق أصيلة فيها هي موضوع درس الاشتراكيين الآن
يبدأ موريس (١٨٣٤ - ١٨٩٦) حلمه بأن يصف
طوباه بأنها جاءت عقب ثورات تطهرت فيها مما كان يلوث
القرن التاسع عشر . فهو يرى ناساً يجمعون النقود كما تجمع
التحف والعاديات لا للتعامل . ويرى النساء في صحة وعافية
يخالفن فيها نساء القرن الماضي اللواتي كانت تنطبع عليهن آثار
البطالة أو الجهد من ترهل أو نحول . والمعيشة ساذجة لان
الناس قد استغنوا عن جميع العروض التي كانوا يحتاجون
اليها سابقاً للمنافسة والمباهاة لا للحاجة الحقة

وهم لذلك يعملون بلا كدح لان حاجاتهم قد قلت حتى
صار القليل من العمل يكفي لسدادها . وقد عادوا مع ميلهم
الى اتقان العمل الى الصناعات اليدوية وليس معنى هذا انهم
استغنوا عن الآلات ولكنهم عرفوا ان القماش المنسوج

باليد على مهل خير من ذلك المنسوج بالآلة اذ هو أمتن منه
وعليه من شخصية صانعه طابع خاص . وقل مثل ذلك في
عدد كبير آخر من الصناعات . ثم ان الصانع الذي يعمل
سلعة ما بيديه يشرع فيها من البداية ويتم أجزاءها قطعة
بعد قطعة حتى تتم يرى في عمله من اللذة ما ترى الام في تربية
ابنها أو ما يرى المؤلف في تأليف كتاب أي انه يشعر في
نفسه بلذة الخالق للشيء الجديد . بخلاف ما نرى في
مصانعنا الكبرى الآن حيث يختص كل عامل بجزء من
العمل لا يتعداه يصنعه متكرهاً ولا يقبل عليه الا بمقدار
ما يجذبه الاجر

ثم ان السداجة التي اقتضت الرجوع الى الصناعات
اليدوية والى تقليل الحاجات قد اقتضت أيضاً إلغاء المدن
الكبيرة والاستغناء عن المركبات والقطارات العظيمة لان كل
بلدة تستنفد ما تنتج وهي تنتج كل ما تحتاج اليه . ولم يبق
من اطلال لندن العظيمة سوى بناء البرلمان الذي صار الآن
مخزناً لروث البهائم . والعامل قليل العمل ولكنه يشتغل
بوحى الفن فهو لا يصنع السلع للتجارة ولكنه يتنوق ويجود
فيها تجويد صاحب الفن الملهم . ونقول بعبارة أخرى ان
توماس مور تخيل مثله الاعلى في رجال كلهم عالم أو باحث

أو طالب علم . اما ولیم موريس فانه تخيلهم رجال فن يقضون
اكثر وقتهم في تجميل مدنهم والتنوق في تشييد منازلهم
وصنع تماثيلهم وتحفهم

وليس في هذه الهيئة الاجتماعية حكومة سياسية أو
ادارية من أي نوع كانت . وليس هناك قضاء . ولكن
ليس معنى ذلك انه ليس بين هؤلاء الناس من لا يغضب او
يحقد ومن لا ينتهي به الغضب والحقد الى ارتكاب الجرائم
ففيهم من يفعل ذلك ولكنه لا يعاقب بل يترك لضميره
والعار الذي يلصق به امام الرأي العام . والجرائم قليلة لان
الخير وفير فأنجلترا كلها ليس فيها سوى نحو خمسة ملايين
نفس بدلا من ثلاثين مليوناً يسكنونها الآن . واذا قل
السكان وكثرت الخيرات انتفى شيء كثير من أسباب النزاع
بين الناس وعندئذ لا يحتاجون الى الاستياق الى المصانع
الكبرى والتزاحم على الاعمال كما يجري بيننا الآن

ويرى القارىء من هذه العجالة ان موريس يسرف في
حسن الظن بالناس وان الشيوعية فيه تغلب على الاشتراكية
فهو لا يبالي بايجاد قواعد للنظام ولا يفكر في حكومة . وعنده
أن البلدة الصغيرة قادرة على ادارة جميع شؤونها بنفسها . واذا
نحن فرضنا أن ذلك ممكن ما دامت البلدة صغيرة لا يزيد

سكانها عن الف أو ألفي نفس فهل يمكن أن يدوم هذا العدد
كأن ليس بين النساء امرأة بلهاء تنسل كالارانب بدون
أن تراعي مصلحة الجماعة أو كأن ليس بين البشر أدواء
وافدة تحتاج الى نظام يكاد يشبه في قسوته الاحكام العرفية
أو كأن ليس هناك نظام للتعليم أوفى من نظام آخر ويحتاج
الى تنفيذه الى ما يشبه حكومة صغيرة

ولكن موريس رجل فن يريد قبل كل شيء أن يرى
الجمال والمتانة في المساكن والمصنوعات وقد رأى من انتشار
الآلات والمصانع الكبرى في القرن التاسع عشر ما أفسد
عليه هذين الغرضين . فهو يكره القرن التاسع عشر بنزعتيه
القوية الى الاستفراد والمزاحمة ويبغي ما يقابل هذين المبدئين
فيميل بطبعه الى الشيوعية ويفرط في ميله اليها واستحسانه
لها بمقدار افراط الناس في ذلك القرن في اكبار شأن الاستفراد

ثم لننظر الآن الى هدسون . ونحن في انتقالنا من
موريس الى هدسون نقفز قفزة كبيرة . فان موريس من
الارض عادي التفكير قد تكون شيوعية روسيا الحاضرة
بعد تحوير طفيف شبيهة بحلمه ولا بد أن كتابه يعد الآن
من الاناجيل المقدسة . أما هدسون فانه من السماء يتخطى

بنا آلاف السنين . فالقرن التاسع عشر أقرب من أن يلتفت
اليه وشيوعية موريس أتفه من أن تشغله فهو ينظر الى تطور
الانسان من الحيوان في الماضي ويود أن يستولد من هذا
الانسان آلهة جديدة

والوحدة الاجتماعية لهذه الرؤيا هي بيت قروي كبير
مؤلف من عشرات الغرف ولهذا البيت تاريخه القديم وآدابه
وفنونه كأنه دولة صغيرة وله ايضاً شرائعه التي يتبعها سكانه
ويسهر على تنفيذها « ابو البيت » الاكبر وهو الذي يحكم
بعزل أحد الافراد مثلاً لجرمة ما . وحول هذا البيت مزرعته
وله كلابه وخيوله التي قد تطورت فصارت تتفاهم مع الانسان
وتؤدي غرضه بأيسر اشارة . وهم يعيشون في هذا البيت
كل منهم في غرفته ولكنهم لا يعرفون الزواج . وهم يقضون
الشهوة الجنسية قضاء عقيماً غير مشمر . لان وظيفة الأثمار
خاصة بامرأة واحدة هي « يعسوب » البيت على نحو ما ترى
في كواردة النحل حيث تحتكر الملكة أو يعسوب النحل
وظيفة التناسل فيكون أبناء الجيل الجديد لها دون غيرها .
فاذا قرر أفراد البيت اتقاء « الام » عمدوا الى احدى
فتياتهم فيضعونها في مكتبة خاصة حيث تعرف من الاشياء
والاسرار ما لا يجوز أن يقف عليه غيرها من السكان .

ونحن نفهم بذلك أن السكان يختارونها لصفات وسمات بارزة فيها لا ترى في غيرها وان الاسرار التي تعرفها في المكتبة خاصة بقداسة وظيفة التناسل وانها يجب أن تنتقي أفضل الرجال ليكونوا آباءً للجيل القادم . وان الكتب التي تقرأها تخبرها عن صفات الفضل والنبل التي يجب أن تتوافر في الرجل حتى يحوز شرف الابوة لاحد أفراد الجيل الآتي . وليس في هذه الكوارة الآدمية من له حرمة هذه الام فهي تعيش بين اكرام الجميع لا مرد لكلمتها وهي تقضي حياتها في التناسل فتعجب للبيت نحو ٣٠ أو ٤٠ طفلا في حياتها حتى اذا ماتت اختير غيرها لتأدية عملها . وهكذا يسير هذا البيت أو هذه العائلة الكبيرة جيلا بعد جيل فتحذف منه الصفات السيئة وتنتقي وتخلد الصفات الحسنة لان « الام » قد درست موضوع التناسل والوراثة وعرفت أن واجبها أن ترفع بيتها درجة في سلم التطور . فكل من به نقص في الجمال أو الذكاء أو الصحة أو الاخلاق لا يكون له حظ الابوة وان كان له من النساء الاخريات ما يشبع فيه شهوة جسدية عقيمة . ونفهم من هذا النظام أن سكان البيت قد لا يزيدون عن ٨٠ أو ١٠٠ شخص ولكنهم

دويلة صغيرة فيها من يختص للعلوم أو للزراعة أو للفنون
والصناعات الأخرى

وليس في هذا النظام ما يخالف الطبيعة البشرية كما
يتوهم القارىء لأول وهلة . فان « العائلة » لا تزال موجودة
بوجود الام التي هي صلة القرابة بين جميع السكان . ثم ان
الابناء لا يعرفون لهم أباً معيناً فالمنفعة الشخصية والاثرة
الابوية منتفية وبذلك ينتفي التنارع بين أفراد البيت . ثم ان
الشهوة الجنسية غير مقيدة لان لجميع الافراد أن يتمتعوا بها
بشرط ألا تعقب نسلاً . وقد عرف الانسان نوعاً من هذا
الزواج يدعى « الضمد » كان العرب يمارسونه وما زال
يمارس في آسيا حيث يتزوج ثلاثة أو أربعة من الرجال
(يكونون في العادة اخوة) امرأة واحدة وينسب الاولاد
للاخ الأكبر

ولنلق الآن نظرة عاجلة على الطوبى الأخيرة طوبى
ولز . وهي أحدث الطوبيات إذ نشرت سنة ١٩٠٦ . ولسنا
ننسى طوبى أخرى أحدث منها عهداً وضعها برنارد شو في
قالب درامة ولكنها لهذا السبب تستعصي على التلخيص .
وولز كاتب طوبوي كثير الاخيلة والاحلام لا يخلو كتاب له

من مثل أعلى ينشده ثم يتخيله ثم يأخذ في تفصيله وبسط
ما جل فيه وما دق كأنه يصف شيئاً محسوساً

وهو يتخيل طوباه في عالم آخر مثل عالمنا ولكنه ليس
منقسماً أمماً وطوائف تتنازع للتوسع والاستعمار اذ هو أمة
واحدة لها حضارة واحدة تدير سككها الحديدية وبريدها
ادارة عامة وتجري عليها شرائع عامة . ولهذا العالم تاريخ
يشبه تاريخ الارض ولكنه انتهى بشورة أو ثورات أحدثت
هذا النظام الجديد ومحت الحدود بين الاقطار القديمة .
والسكان يستعملون الآلات الى اقصى حد وهم في فنونهم
لا ينظرون للوراء فلست تجد في المباني طرازاً ينحو نحواً
قديماً أو يومىء الى حضارة بائدة . والارض وسائر مصادر
الثروة ملك شائع للجميع تستغله الهيئات المحلية دون الافراد .
ومن أهم ما يتسم به سكان هذا العالم ان لكل فرد سجلاً
يحتوي على اسمه ورقمه وطابع أصبعه واسماء الاماكن التي
تنقل فيها . والغرض من هذا السجل درس احوال الفرد
وكفائاته في الحياة وفي الوراثة لانها تستعمل بعد موته

وينقسم الناس في هذا العالم أربع طبقات وهم : الطبقة
العاملة الذين يتولون الادارة والحكم . والطبقة الشعرية
وتتألف من رجال الذهن الذين يحترفون التفكير والتخيل .

ثم طبقة البلداء الذين يقومون بالاعمال الوضيعة . والرابعة هي طبقة المنحطين من مجرمين ومدمنين ونحو ذلك . وهؤلاء يحدفون الى جزيرة خاصة منفردة حيث يعيشون ويمارسون رذائلهم كما تشتهي نفوسهم بعيدى عن سائر الناس . وهم انما يبقون ويتناسلون بمقدار ما فيهم من خير والا فصيرهم الى الفناء وذلك لان الرذيلة اذا مورست قتلت صاحبها فهي بالنسبة للجماعة داء ودواء معاً لانها تنفي عنها صاحبها

ولكن فوق هذه الطبقات الاربع طائفة اخرى تقوم بالتعليم والاصلاح وتحرس نظام العالم تشبه طبقة افلاطون المؤلفة من الحكماء . وهذه الطائفة تدعى طائفة السامراء . والسامرائي يختار بعد اختبار طويل تفحص فيه قواه العقلية والجسمية من شباب العالم الذي جاز الخامسة والعشرين . فيفرض عليه نظام في اللباس والطعام والرياضة . وفي كل عام يخرج السامرائي الى الغابة لا يحمل كتاباً او سلاحاً او قلماً او تقوداً وعليه ان يقتات من الغابة ويتأمل في خلوتها وقد زويت عنه جميع المتع الدنيوية ثم يعود بعد ذلك الى الدنيا وقد اكتسب من الطبيعة متانة في الخلق وعافية في الجسم . ونظرة أوسع لمصالح العالم . وهؤلاء السامراء يسمع كلامهم وتنفذ اراداتهم لا تخالفهم طبقة من الطبقات

الاربع . وهم اشبه شيء في نظامهم بطائفة اليسوعيين . فكما
ان هؤلاء قد ضحوا بملاذ الدنيا وارتضوا النسك خدمة
للمسيحية في عالمنا فكذلك يدخل السامرائي في طائفته
مضحياً بكل شيء في العالم لكي يتفرغ لاصلاحه ودرس
أمثل الوجوه التي ينبغي ان تسير عليها ادارته سواء اكانت
في جماعة او عائلة

وليس في هذا المقترح شيء غريب لانه اذا كان في
الدين من القوة ما يحث طائفة من الناس على ان تقبل النسك
والاعتكاف في دير قصي تتعبد فيه ولا تفكر في ولد يخلفها
أو ميراث تعقبه له فليس من الكبير على أبناء القرن العشرين
أن تتألف بينهم « رهبانية » يكون غرضها خدمة الانسان
بدلاً من خدمة الآلهة

الحقيقة بنت الوهم

إذا كانت الحقيقة هي بنت البحث فإن البحث هو أيضاً ابن الوهم نتوهم أولاً ثم نبحت ثم نتحقق . نحلم ببناء البيت ونتوهمه في مخيلتنا قائماً مشيداً ثم نبحت عن مواده وأسبابه ثم نبنيه طبق توهمنا الأول . وما من ثورة أو انقلاب أو إصلاح توافرت أسبابها لامة ما إلا وكانت وهماً يتوهمه قبلاً أحد مفكريها

والقضية لا تنعكس فإن كثيراً من أوهام العلماء واحلامهم ذهبت هباءً إما لأنها كانت أضغاثاً وركاماً غير منسقة وإما لأنها جاءت قبل أوانها . ولكننا لو عرضنا طائفة من الانقلابات الحديثة لرأينا فيها أثر المثل العليا التي رآها الفلاسفة والمفكرون . وقد يظن القارئ لفرط ما هو لاصق بالحقائق أن أثر هذه الاحلام ضعيف في هيئتنا الاجتماعية والحقيقة أنه كبير جداً بل هو اكبر في بعض الحالات مما كان يجب أن يكون . فلو أن الشيوعيين في روسيا مثلاً لم يستسلموا كل الاستسلام لمن حملوا بالشيوعية مثل باكونين وكروبتكين وغيرهما لعدلوا بنظامهم الراهن عن كثير من نقائصه التي تكاد تهدمه من الاساس . ثم ليس

هناك شك في أن « عصبة الأمم » ليست الا تحقيقاً لحلم
المسيحية في إيجاد السلام في العالم . وقد حلم نيتشه « بحكومة
الولايات المتحدة الاوربية » ورأى ولز في طوباه حكومة
عالمية يخضع لها العالم كله

واعتبر مثلاً تلك الثورة الاميركية التي انتهت بتأسيس
الولايات المتحدة أو تلك الثورة الفرنسية التي انتهت بمحو
الملوكية من فرنسا تجد انهما انما جاءتا عقب أحلام الفلاسفة
في فرنسا وأميركا عن الحرية والمساواة وسائر هذه الافكار
التي لا يزال الناس للآن يجدون في سبيل تحقيقها

بل اعتبر التعليم العام والدعوة اليه فقد دعا اليه كثير
من الفلاسفة وهو لا يزال للآن على الرغم من انتشار
المدارس خيالاً أكثر مما هو حقيقة . وهنا في مسألة التعليم
هذه يجب أن نقف لكي نرى شيئاً من فعل الخيال في
النفس وسيطرته على العقل فان جميع من تخيلوا المثل العليا
لم ينسوا أن يفكروا في التعليم وتعميمه كما أن الذين تشوفوا
الى عهد المساواة ورجوا تحقيقه لم ينسوا أن يذكروا ان المساواة
في فرصة التعلم هي ارقى ضروب المساواة وأعدلها . وكانت
نتيجة ذلك انه لم ينتصف القرن التاسع عشر حتى كانت
جميع الأمم الاوربية قد رسخ في أذهان أبنائها وجوب تعميم

التعليم . ولكن فرقاً بين خيال الفيلسوف ينضجه رأسه
 المثقف وبين الحقيقة تتناولها أيدي المتوسطين من الناس .
 فان التعليم الآن على عموميته في أوربا ومجانيته لا يزال صورة
 وقشراً أكثر منه حقيقة ولباً . اذ هو في الواقع الراهن
 لا يزيد عن ان يكون لعبة أدواتها الورق والقلم . فالصبيان
 يتعلمون شيئاً من الجغرافية على الورق وشيئاً من التاريخ على
 الورق وحساب البيع والشراء على الورق . والرسم ينقل
 من الورق الى الورق . والاشعار تحفظ من الورق وفي جميع
 البيوت أو أكثرها تجد ورقاً مضموماً بعضه الى بعض تسمى
 الكتب يدعي كلنا ان فيها معلومات مفيدة . وقد نشأ من
 هذا التعليم ان كثر الورق حتى صرنا نقرأ عدة صحف من
 ورق كل يوم وصرنا نعتاض من التمثيل مثلاً تمثيلاً آخر
 ينقل من ورق أو ما يشبه الورق الى ورق أو ما يشبهه .
 ولكن أولئك الفلاسفة الذين تخيلوا التعليم العام لم يعتقدوا
 قط ان هذه الثقافة الورقية هي نتيجة أحلامهم . وهم لو سألتهم
 كيف يجب ان يعلم الرسم لاجابوك على الفور : في الحقل
 وفي الغابات وفي الاسواق وعند قطعان الغنم وامام بواسق
 الاشجار . ولو انت طلبت من ولز : كيف يجب ان نعلم
 الجغرافية او التاريخ لاجابك على الفور : وهل مثل هذا

السؤال يُسأل وهل في العالم سبيل آخر الى تعلمها غير السياحة
وهل من العدل ان يموت انسان في هذا العالم لم يعرف البحر
أو الجبل ما هما ؟ ولو أنت سألت احد الكيميائيين العظام :
كيف نعلم صبياننا وشباننا الكيمياء لما تردد في الاجابة بان
ذلك لا يكون بلا بوتقة ونحو عشرين او ثلاثين أداة اخرى
ولكن الساسة الذين يديرون شؤون الامم الآن بغير
حق يجدون ان التعليم بهذه الطرق يكلف الامة نفقات طائلة
فهم لذلك يمسخون التعليم حتى يجعلوه جملة الأعياب مملّة تصنع
بقلم وورق ومداد . وهم يرون من السهل ان يقرأ الشاب في
كتابه ان حيوان البحر هو كيت وكيت تكتب له انواعه
قائمة كما تكتب قائمة الفنادق فيحفظها عن ظهر قلب لان
هذا أيسر على رجل السياسة من ايجاد سمكة كبيرة تكلف
في العام نحو عشرة آلاف جنيه . ومن السهل أيضاً أن يحفظ
التلميذ درسه عن النبات من الورق وينقل رسومه بقلمه من
ورق الكتاب الى ورق كناشته لان رجل السياسة الذي
يدير حظوظ الامم الآن بغير حق يجد ان تعليم التلميذ حياة
النبات من الحقل والغابة يكلف الامة نفقات كبيرة يخشى
ان هو طلبها من الامة أن تسقطه في الانتخاب فهو لذلك
يؤثر لعبة القلم والورق

ولكن العلماء يعرفون أن التعليم الحقيقي هو أن يحتك
الإنسان بالطبيعة ويلابسها ويعرف منها ما يريد أن يعرف
مباشرة وأنه خير للصبي أن تلسع أصبعه بالنار من أن يقال
له إن النار تحرق . وإن يوماً واحداً في الصحراء يقضيه على
رملها ويستنشق هواءها ويحس ظمأها وتكتنفه بداوتها خير
له من أن يقرأ آلاف الكتب عن علاقة البدوة بالحضارة
وحياة النبات والحيوان في الصحاري

وليس من العدل أن نقول أن كل التعليم يجري الآن
بواسطة القلم والورق . والحق أنه لو كان كذلك لما تقدم
الطب ولا الهندسة . فلقد كان الطبيب العربي يقصر علمه في
الأمراض على ما تعلمه بالقلم والورق وكان الخلفاء يمنعون
الأطباء من التشريح فبقي الطب لعبة سخيفة في أيدي
المشعوذين . وكان علم القرون الوسطى يجري على هذا
النحو أيضاً . فلما كانت النهضة الأوروبية الحديثة أخذ العلماء
في هجران علوم العلم والورق ولجأوا إلى الطبيعة فصاروا
يشرحون النبات والحيوان ويجربون بأيديهم التجارب العلمية .
ولكن هذا الهجران لم يتم فإن معظم ثقافتنا الآن هي ثقافة
الورق وهي لذلك لا تقترن بأذهاننا ذلك الاقتران الشرعي
المنجب بل هي تخالل أذهاننا مخاللة عقيمة . فلو أنا مثلاً

كنا نعرف النبات باقسامه وأنواعه حيه ومتحجره لا ثمرت
معرفتنا وأصبح كل منا أشبه شيء بمكتشف أو مخترع في
هذه المملكة العجيبة التي يصح أن يقال عنا فيها أنا نسمع
عنها ولا نراها

وما يقال عن التعليم يمكن أن يقال مثله عن سائر
الاشياء التي حلم بها الفلاسفة فأخذت قشورها العامة وتركوا
لبها . فان المدن الحاضرة وما فيها من نظام اكثره قائم على
وفرة مخترعات النقل يرجع الى أحلام الفلاسفة عن عصر
الآلات الذي تنبأوا به . ولكن هؤلاء عندما كانوا
يفكرون في اختراع الآلات كانوا ينظرون منه الى أن
يوفروا على الناس وقتهم كي يشغلوه فيما هو أزكى لنفوسهم
وأدعى لراحتهم ولكن عامة الامم أخذت من اختراع
الآلات ذريعة لزيادة ثروة أصحاب المصانع ولو كان في ذلك
زيادة جهد العمال واشتغالهم بالكدح للمعاش

نظرة الاحلام

قد يكون من القحة أن تخبر فتاة عن تأويل ما رأت
فيما يرى المنام من أمير بهي الطلعة وسيم القدر قد حياها
وحاول أن يقبل يدها أو قبلها . فان في التأويل الصحيح
اتهماً لعقلها الباطن الذي ينطلق وقت النوم ويفرج لشهوات
الجسم ما قيد منها العقل الظاهر وقت الصحو . والاحلام
سواء أكانت من رؤى اليقظة أم من رؤى النوم دليل على
شهوات أو رغبات لا يحققها الوعي أو اليقظة التامة

وقد يكون أسد للمؤرخ وأجدى عليه اذا هو نصب
نفسه لدرس تاريخ أمة ما أن يعتمد الى خرافاتها التي تتكشف
فيها أحلامها فيدرسها ويعرف منها تلك الشهوات والنوازع
التي كانت تعتلج بها نفوس أبنائها . فسر تاريخ الفراعنة
مثلاً بما فيه من حروب وأسرى وانتصارات ونحو ذلك قد
يكون أقل جدوى في معرفة تاريخ الامة من تحليل قصة
خرافية وأحدوثة كانت تتحدث بها العامة في سمرهم . لان
في هذه الاحدوثة تتجسم رغبات هؤلاء العامة وهي تمثل
ما كانت تشتهي نفوسهم . وهي أصدق في وصف أجوالهم

من الاكاذيب التي كان الفراعنة يكتبونها أحياناً عن
أنفسهم قبل وفاتهم

وقد كانت أول طوبى فكر فيها الانسان من الطوبيات
الخرافية التي دخلت في صلب الدين . فان المصري القديم
مثلاً عندما وجد أن اصلاح الحال في الدنيا من المحال وان
قوى الاستبداد متألبة عليه وانه يسخر طول النهار فيكدح
في وهج الشمس أخذ يحلم بنعيم يراه بعد الموت . فهو
يكدح هنا يتهضمه الولاة الظلمة ويصدمون فيه شهوات
نفسه . وعلى ذلك فهو يرى في نعيم الآخرة ميزاناً منصوباً
لمعاقبة هؤلاء الظلمة ويرى الهناء والراحة في ظلال الاشجار
التي تتغلغل بينها جداول الماء . وهو في هذا الخيال الحلوم
يختلف عن الجائع أو العطشان الذي لا يرى في نومه سوى
الموائد مبسوطة والشراب المصفى إلا من حيث أن حلمه قد
صار حلم الامة بأسرها وخرج من رواية الفرد الى رواية
المجموع

ثم جاء الفيلسوف فرسم طوباه لهذا العالم لا يعبأ بما بعد
الموت ولا يبالى بمصير الرمم . ولكن الفيلسوف من ذوي
الاحلام الارضية لفرط اعتماده على الحقائق الملموسة غني بالمادة
أكثر مما غني بالمبدأ وبالوسيلة أكثر من الغاية ولذلك

كثيراً ما تتصفح الحلم فنتساءل عندما نبلغ خامته : هل
هذه هي السعادة والرقى أو هل هذه ما نتعوض منهما . هل
نحن بازاء الاصل أم بازاء البديل ؟

ثم قد نتساءل أيضاً : لماذا لم يتحقق حلم من هذه
الاحلام مع مضي مئات السنين على بعضها ؟

وهنا نرى ميزة الاديان على أحلام الفلاسفة ومن
دوهم من المفكرين . فان الدين قبل أن يعد بطوبى العالم
الآخر كان يطلب من الفرد أن يغير بالايمان قلبه وأن تتبدل
نفسه نفساً أخرى هي نفس المؤمن المرتاح الى ايمانه الراضي به
بدلاً من نفسه السابقة نفس الكافر الذي توسوس اليها
الشكوك . وكان هذا الايمان وحده كافياً لان ييسر على
المؤمن كل تغيير يراد في طرق المعاش والاجتماع والزواج
ونظام الحكومة وغير ذلك . وتقول بعبارة أخرى ان الدين
كان يحاول تغيير الهيئة الاجتماعية بعد أن يبلغ قلب الفرد
فيغيره بل يخلقه من جديد . وكان لذلك ينجح في تحقيق
غرضه لان أداة تحقيق هذا الغرض هو الفرد . فاذا لم يكن
هو قد تغير فكيف نطلب منه أن يغير طرق الهيئة الاجتماعية
وهذا هو الفرق بين الاديان وبين أحلام الفلاسفة .
فالاديان جعلت تبديل الوسط رهناً بتبديل الفرد فاستطاعت

أن توجد هيئة اجتماعية مسلمة أو مسيحية أو يهودية . ولكن
طويبات الفلاسفة وخاصة في القرن التاسع عشر لم تبال بالفرد
أقل مبالاة وإنما عُنيت بالوسط

ففي القرن التاسع عشر نجد صيحات اصلاحية عديدة
أعلاها نبرة هي صيحة الاصلاح الاقتصادي . ولكن منها
أيضاً ما كان يدعو الى اصلاح الحكومة أو التربية أو نحو
ذلك من ملابسات الوسط الذي يعيش فيه الانسان . وكلها
خالية من شرطين أساسيين لنجاح أية دعاية

الشرط الاول : ان الغاية لم تكن واضحة هل هي الصحة
أو الجمال أو حسن الادارة أو كثرة المال . وهب أن هذه
الاشياء كانت هي أو بعضها غاية ذوي الاحلام من الفلاسفة
فهل كانت تؤدي الى السعادة والرفق ؟

الشرط الثاني : أنها كانت خلواً من إيجاد أية وسيلة
لتغيير الفرد فان الاديان غيرت قلوب الناس وتمكنت بذلك
من إنفاذ ما حسبته اصلاحاً . ولكن الطوبويين لم يغيروا شيئاً
من قلوب الناس تمهيداً لقبولهم براجهم

وجمهور الناس في كل أمة ليسوا عامة فقط بل هم أو باش
يميلون الى الفرد أكثر مما يميلون الى السبرمان . ومن هنا
تلك السهولة التي يملك بها زمامهم خطيب مفوه أو طاغية

ما كر أو ولي أبله لان هؤلاء يخاطبون عواطفهم التي تستجيب
الى خطابهم أما الفيلسوف الذي يخاطب فيهم عقولهم فلا يجد
فيهم مليياً . والعواطف أقدم وأرسخ في طبيعتنا من العقل
وهي اذا طمت بنا طغت على العقل

وعلى ذلك تقول ان الطوبيات الارضية لن يفلح
أصحابها في تحقيقها ما لم يغيروا نفوس الافراد . وليس هذا
بالشيء العظيم كما يتصور القارىء . فقد استطاع الدين أن
يغير قلوبهم فلم لا تغير اليوجنية عقولهم بمنع البله والمضعوفين
من التناسل حتى يرتقي الانسان جيلا بعد جيل فيتمشى رقي
الوسط مع رقي الانسان نفسه . فان البولشفية مثلا هي
الصورة الكاريكاتورية لاحلام فلاسفة القرن التاسع عشر
وهي انما انحطت الى هذا الدرك لان أدواتها من الناس
ليسوا على مستواها هي

وخلاصة فصلنا هذا ان الطوبيات قد تطورت ثلاثاً :

١ — طوبى العامة التي نراها في أحاديثهم القديمة
والحديثة وهي سلوكهم تكمل لهم ما تقصهم من حقائق الحياة

٢ — طوبى الاديان وهي في الحقيقة طوبيان : واحدة
في العالم الآخر وهي ترمي الى تغيير نفس المؤمن بوعوده
بالمكافأة . فاذا تغيرت النفوس وقبلت الايمان لم تعارض في

عقوبة

الطوبى الارضية التي يرسمها الدين لنظام الحياة على الارض
٣ — طوبى الفلاسفة وهي لا يمكن تحقيقها ما لم يكن
غرضها واحداً وهو السعادة والرقى أو الحياة الطيبة التي تعمل
لراحة الفرد وهنائه وارتقاء الاجيال . وما لم تحارب البلاهة
في الامم بمنع البله والمضعوفين من التناسل

نقد ومراجعة

كانت معارف الانسان الى ظهور ارسطوطاليس واحدة كلها أدب . فلم يكن فاصل بين الادب والعلم لان الاديب وهو رجل الخيال كان أيضاً عالماً . وكان العالم وهو رجل الحقيقة أديباً خيالياً . فلما جاء ارسطوطاليس وشرع في تأليف « التاريخ الطبيعي » نزع فيه نزعة علمية قائمة على المشرط والتجربة فميز بذلك بين العلم والادب . وظهرت بعده مدرسة الاسكندرية وكانت قيمة العلم فيها والعناية به اكبر من قيمة الادب . وجاء العرب ولم يكن أدبهم مما يغري النفس بالخيال اذ كان عماده الالفاظ وما يلحق النفس من الطرب لرنينها فاندفعت منهم جماعة كبيرة نحو العلم التجريبي . فلما كانت النهضة الاوربية الحديثة عاد الاوربيون الى الاغريق القدماء عن سبيل العرب فنزعوا نزعة علمية عن العرب ونزعة أخرى أدبية عن الاغريق

وبيان الفرق بين العلم والادب يحتاج الى بعض التفصيل فالعلم موضوعي والادب ذاتي . فالعالم يبحث قطعة من المعدن أو مرضاً من الامراض أو نجماً أو نباتاً وهو بعيد عنه لا ينظر لعلاقته به ولا يبالي بمنفعة هذا البحث أو ضرره للانسان .

فقد يهتدي العالم في بحثه الى سم من أوحى السموم فلا يدخل في بحثه ان هذا السم يمكن ان يستعمل في الحرب لقتل العدو ويمكن ان يكتشف عن سبيله سم آخر لقتل النوع البشري كله . وقد يهتدي الى اختراع آلة فلا يبالي بعدد العمال الذين يستغنى عنهم باستعمال هذه الآلة لانه لا يعنى بعلاقة العلم الذي يبحث فيه بالانسان وانما كل عنايته بالعلم نفسه يبحث فيه وهو غريب عنه بعيد عن منفعته أو ضرره . فاذا رأيت عالماً يبحث في توفير الوقود أو زيادة كفاءة الآلة في الممل ألفيته مشغولاً بهذه الاشياء دون أي اعتبار لتأثيرها في العامل الواقف امام هذه الآلة وما ينشأ بينه وبين صاحب الآلة من العلاقة الجديدة لهذا الفرق الجديد في الوقود أو العمل

وهذا بخلاف الاديب فانه يبالي بالانسان لا بالاشياء فهو لا يمارس الادب لذاته كما يمارس العالم العلم لذاته وانما هو يزاول ادبه لعلاقته بالانسان . وهو لذلك خيالي يبحث في الدين والاخلاق والشرائع . فالادب بطبيعته اصلاحي موضوعه الانسان . والعلم لا يمكن ان يكون اصلاحياً أو افسادياً لان موضوعه الاشياء فقط . والاديب يعكس جميع المعارف في ذهنه لكي يعرف منها أيها مفيد للانسان فيزاوله

وأما ما لم يكن كذلك فلا يفكر فيه ولا يكثر له . حتى
العالم وهو يبحث في شيء انساني ينظر اليه كأنه « شيء »
مستقل عن الانسان فالاماس زينة المرأة « كربون » والحمل
ناشئة عن « مكروب »

وفي كلمة سقراط ما يدل على روح الاديب فقد قال :
« أنت تعرف أن الاشجار في الحقول لا تعلمني شيئاً . وأما
أنا أتعلم وأنتفع من الناس في السوق »

ولكن جاء ارسطوطاليس فقسم المعارف قسمين :
المعارف الخارجية التي يمكن جميع الناس ان يتناولوها وهذه
هي الادب بفروعه . وأساسه التجارب الانسانية . ثم المعارف
الداخلية وموضوعها الاشياء ودرسها وهي العلم . والاولى
هي معارف العامة أما الثانية فهي معارف الخاصة

ونحن للآن نجري على هذا التقسيم فلاي فرد من العامة
أن يتكلم أو يكتب ما شاء عن الدين أو الاخلاق أو الشعر
أو القصص أو العمران أو الاقتصاد ولكن ليس له ان
يكتب عن الكيمياء أو الطب أو الهندسة

وقد قلنا ان النهضة الاوربية الحديثة نزع نزعة علمية
وهي لا تزال كذلك للآن . وليس شك في ان كبار العلماء
في كل وقت كانوا من كبار الادباء لان الذهن الكبير يأتي

أن يرضى بأن يكون مخزنًا تدخر فيه المعارف بلا غاية أو قصد . وإذا قلت الغاية في العلم فقد قلبت العلم الى أدب لانك عندئذ لا تسكتفي بان تقول ان الالماس كربون بل تضطر الى ان تتساءل : هل هو جميل ؟ هل هو جدير بنفقة استنباطه ؟ هل من المصلحة العمرانية ان تلبسه طبقة دون طبقة من الناس ثم أيهما أجمل وأنفع لبني الانسان أن يتجه نظرهم نحو جمال الوجه او جمال الصنعة اي تكون الاصابع جميلة من ذاتها أو مجهزة بالالماس ؟

لذلك كان ولا يزال كبار الادباء علماء وكبار العلماء أدباء وحسبنا أن نذكر ارسطوطاليس الذي كان يؤلف عن اصول البلاغة والتاريخ الطبيعي أو دافنشي الذي كان يمارس الرسم ويخترع الطيارات أو جيته الذي كان يشتغل بالتشريح وبتأليف القصص والشعر . ولكن جمهور العلماء الآن طائفة خاصة بعيدة عن طائفة الادباء . وهذا البعد بينهما وانفصال الواحدة عن الاخرى قد أثر أثره في الهيئة الاجتماعية التي نعيش فيها

وذلك لان الادب بجميع فروعه لا يحيا ويزكو الا اذا قام على اساس العلم . والعلم نفسه معارف جوفاء لا غاية لها الا اذا هضمها الاديب ومثلها في ذهنه . ومن هنا انفصل الادب

والعلم كلاهما عن الحياة . فالاديب الآن سواء أكان رجل دين أو تصوير أو قصص أو شعر أو غير ذلك من فنون الادب يبحث مثلاً عن السعادة المنزلية وهو لا يدري شيئاً عن مادة البناء أو أنواع النبات الذي يستطرف للزينة أو هندسة التهوية الصحية أو تطهير المدن أو غير ذلك مما يعرفه العالم ويختص به . ولكن العالم ايضاً وهو يعرف هذه الاشياء يجهل عنصر الجمال في المنزل فيبنيه كأنه يبني سجنًا أو مصنعاً

وخلاصة ما تقدم كله أن أحلام الفلاسفة يعتمورها في جملتها نقص عظيم وهي انها نتاج أفكار الادباء أو أفكار العلماء . وقلماً تجد أدبياً عالماً مثل افلاطون أو ولز أو هرسون يحاول أن يجمع بين الادب والعلم في تخيل طوباه . والحقيقة أن الانسان في زمننا الحاضر يشق عليه أن يجمع بين الاثنين إلا اذا قنع من العلم بالتطرف من فروع المختلفة دون الامعان فيها . وعلة ذلك أن العلم قد تقدم وصارت الاحاطة بأحد فروعها تستغرق الحياة بأجمعها فاما أن يطول العمر حتى يبلغ مائتي عام أو ثلاثمائة وإما أن تقنع بقليل الدرس منه

ولكن يجب أن نعرف أن تقدم العلوم بحيث لا تتمشى مع تقدم الآداب يؤذي الناس ولا يفيدهم . فاذا عرف الناس مثلاً علم الكيمياء وما هي الغازات القاتلة التي تفتى منها

الجيوش أو المدن في ساعة دون أن يكون لهم مع ذلك خيال راق أو عقيدة سامية في مستقبل الانسان أو معنى مهذب للجمال كان علمهم بالكيمياء ضرباً من أذى النفس الذي يجب أن يحاط الناس منه

وحضارتنا الراهنة هي حضارة العلم المنفصل عن الادب أي حضارة الصناعة القائمة على ادمان الاختراع الآلي الى أقصى حد . ولكن الصناعات مهما أوتيت من رقي ان هي إلا وسيلة وسبب من وسائل الحياة وأسبابها ولذلك ما زلنا نحن على رقينا الصناعي الحاضر نتساءل : أينما أصبح نظراً للحياة والسعادة وتقدير الجمال والرفي نحن أم المصريون القدماء أم الاغريق القدماء ؟

فاذا أردنا أن نشرع في تخيل أخيلة صحيحة يمكن تحقيقها يجب قبل كل شيء أن نصل ما اقترب من العلم والادب . ولا عبرة بتأخر العلم في هذه الحالة . فان تقدمه وحده لا فائدة فيه . انما يجب أن نذكر ان العلم انما ارتقى وحده لانفصاله عن الحياة أو بعبارة أصح تقول انه ارتقى لانه حين تجرد من العامل الشخصي وصار موضوعه الاشياء دون الناس انطلق من جميع القيود التي يضعها ذوو السلطان الحكومي أو المالي أو الديني على فنون الادب كما هو الواقع

الآن في معاملتهم للبحث الديني أو العمراني . فلن يرقى
الادب حتى ينطلق هو أيضاً من هذه القيود بحيث يجوز عمل
التجربة العمرانية كما تعمل التجربة الكيميائية ويجوز ابتكار
العقيدة الدينية كما يجوز اختراع أية آلة للصناعة . فاذا تخيل
الاديب خياله ورسم طوباه لم يكن ذلك لمجرد اللذة أو التسلية
وانما هو يبنى على قواعد العلم بحيث يصير خياله عملياً تيسر
تجربته في مدينة أو قرية أو مديرية أو قطر

ومعظم ما وضع من الطويات في القرن التاسع عشر
عني فيه أكثر مما يجب بالنظام الاقتصادي للامة . وكان هذا
طبيعياً للانتقال الاقتصادي الكبير الذي حدث في القرن
الماضي بانتشار الآلات . ولكن النظام الاقتصادي ليس
كل شيء

وهو أيضاً لا يمكن حله ما لم تحل الى جانبه مسائل
اخرى . لان الاعتماد على حل مسائل الحياة بتنظيم عمل
الآلات هو حل علمي موضوعي ناقص . لان الحياة تحتاج
أيضاً الى حل ادبي يدخل فيه الاعتبار الديني والثقافي
والاخلاقي ولن يكون ذلك حتى يكون الاديب عالماً أو
العالم ادبياً

وبعبارة اخرى نقول ان الامة التي ترتقي فيها مركبة

كالاتوموبيل مرة كل عام باختراع أداة جديدة لا تعتبر انها
سائرة نحو الحضارة الصحيحة ما لم يرتق دينها وينقح على
الاقل مرة في العام ايضاً. والحضارة التي تعنى بمكتشفات
العلم لن تكون حضارة صحيحة ما لم تعن بمكتشفات الادب.
والامة التي تجرب طريقة جديدة لمزج الاصباغ لن تكون
حياتها صحيحة ما لم تجرب الى ذلك طريقة جديدة للمعيشة بين
الافراد بحيث يساوق رقيها العمراني رقيها الصناعي

مقدمة لطوبى مصرية

كل طوبى بطبيعتها محلية . ومن المحال ان تؤلف طوبى عالمية لان لكل مكان أو بقعة جغرافية « شخصية » تحتاج في معالجتها الى طرق تختلف عما تحتاج اليه أية بقعة أخرى فالمثل الاعلى للعيش في مصر يجب ان يختلف عما هو في اليابان أو البرازيل

ولقد ذكرنا جملة شروط لتخيل طوبى صالحة للعمل . منها ان يقوم بها اديب عالم . ومنها ان يكون الجمهور قادراً بذكائه على ادراك حقيقتها . ولكن قبل كل ذلك يجب ان يحب صاحب الخيال او رائى الرؤيا موضوعه . وما موضوعه هذا سوى وطنه

وهل لي ان أشك في وطنية الاديب المصري وحبه لبلاده ؟

حسبك ايها القارىء ان تعرف ان « وطنية » ليست لفظة عربية مثلها مثل « العائلة » فكلاهما ترجمة لمعان افرنجية . وحسبك ان تعرف ان ادبنا ليس أدباً مصرياً بل هو ادب عربي ابظاله المتنبي وابن الرومي والمعري . وحسبك ان تعرف ان لجزيرة العرب حرمة في نفس المصري أكثر مما

لمنفيس وان موسى من الانبياء المكرمين وان فرعون من
الظلمة الفاسقين . ثم اذكر أن الطويات الدينية تغمر كل
طوبى دنيوية اخرى

فهذه كلها عقبات تمنعنا من أن نحب مصر وتعرض
العاطفة الوطنية في نفوسنا . فمذ أن خرج البدو من جزيرة
العرب على حضارة المصريين والرومانين والاغريق ووطنية
مصر شائعة في العالم الاسلامي ومدنيتها مغمورة بالبدواة
العربية فليس لنا الآن آثار نحترمها ولا ظهر منا ابطال
نذكرهم إلا ما كان في العصور القديمة

ثم هبت علينا نفحة من اوربا فعرفنا منها القومية والوطنية
او بدأنا نعرفهما فصرنا الآن نذكر الفراعنة بالتبجيل بعد
ان كنا نجاري أعداءهم في لعنهم وصرنا نشعر أننا مصريون .
ولكن هذا الشعور لا يزال يحتاج الى تمرين حتى ينزل من
العقل الظاهر الى العقل الباطن

فاذا احببنا مصر وصرنا نبجل شعراءها وكتابها بدلا
من تبجيل الجاحظ والجرجاني . واذا صار الفلاح موضوع
احترامنا وبطل اصلاحنا . واذا صرنا ننقل أساليب البناء
عن الفراعنة ونشيد منازلنا على غرارها فعندئذ نحب مصر
ويسوقنا حبنا لها الى تخيل الاخيلة الجميلة . واذا انت رأيت

أديباً لا يبالى بالفلاح في مصر فليس لذلك من معنى سوى
أنه لا يحبّه . وهو اذا لم يحبّه فقد كره مصر لاننا نحن كلنا
فلاحون

والحقيقة أن أدباءنا هم أدباء العرب أو أدباء الدولة
العباسية أكثر مما هم أدباء مصر . وحالتهم هذه ابعد
الحالات عن تخيل طوبى مصرية لانها بعيدة عن حب مصر
ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره فاذا نحن ذكرنا مصر
وتعاورت احوالها اقلامنا اسفرت مزاولتنا لوصفها ونقدتها
عن حبنا لاشياء وكرهتنا لاشياء أخرى فيها

وعندئذ فقط نبدأ بأن نحلم لمصر بنظام جديد وأن
نرسم لها طوبى جديدة . لان الطوبى الحقيقية ينبغي ان تكون
نتيجة طرب الحب . وكيف نحب وطننا ما دامت عيوننا
شاخصة نحو الشرق

ضمي

« الزمان نوع من المكان . فبدلاً من ان اقول : منذ
الف سنة حدثت تلك الحادثة . يمكنني ان اقول : ان تلك
الحادثة حدثت في المكان الفلاني في الفضاء في دورة الارض
الفلانية عند حركة الشمس الفلانية لو كان تحقيق حركتي
الارض والشمس يمكن تعيينهما في مكان في الفضاء . فافهم
عندئذ من هذا القول ما أفهمه من قولي : منذ الف سنة
حدثت تلك الحادثة . بل يكون فهمي هنا أدق وادراكي
للحادثة أوضح »

كنت أتلفظ بهذه الالفاظ بصوت اسمعه كما هي عادي
عندما أريد ان أوضح لنفسي شيئاً غامضاً ، لان اللفظة عندي
هي أساس المعنى وليس المعنى أساس اللفظ

وأنا في هذا احاول ان اميز بين الزمان والمكان واذا
بالنعاس يغلبني ويكاد يتطور الى نوم . ثم اذا بوعي العقل
الظاهر ينقلب الى أحلام العقل الباطن . ثم فترة من التردد
بين الصحو والغفو ثم النوم

ولكنه لم يكن نوماً إلا في ظاهر الجسم أما في باطن
الاعصاب والدماغ فقد كانت الافكار تتأجج والخواطر

تترادف وتتوارد وتتجمع ثم تتشتت وتتبدد . وبعد برهة
فقدت الشعور بزمانها (او بمكانها) أحسست كأنني أنحدر
ويبدأ الى حيث ينقشع الظلام ويتبلج الضوء ثم استنشقت
أنفاس الصباح بل كرعت منها وعبيت فيها كأنني لم أذق
طعم الهواء النقي منذ سنين . وهيببت من فراشي وأنا أقول
« تأخرت . تأخرت » ولكنني قعدت ثانياً في الفراش
عندما نظرت الى ما حولي . فان الغرفة لم تكن غرفتي ولا
الفراش فراشي . ونظرت الى الحائط فوجدت معلقاً عليه
نتيجة وبها هذه الارقام ٧ فبراير ٣١٠٥

فتأملت ما حولي فوجدت المرتبة والوسادة واللحاف كلها
مصنوعة من الكوتشوك المنفوخ والغرفة نظيفة ناصعة .
فقلت في نفسي : « لا بد اني كنت مريضاً وجاءوا بي الى
هذا المستشفى اليهودي . اذ لا شك في أن هذه السنة يهودية
تبتدىء من موسى . وموسى جاء قبل المسيح بنحو ١٣٠٠
سنة . هؤلاء اليهود لا ينسون تاريخهم . ولكنني لا أعرف
لماذا أحضروني هنا فاني لا اتذكر اني مرضت »

ثم نظرت الى جسمي لأرى به علامة جرح أو كسر فلم
أجد . فكددت ذاكرتي أبحث عن حادثة في الماضي فلم
أهتد . فقممت من الفراش وسرت نحو النافذة ولكنني لم

أخط خطوتين حتى صكت أذني صرخة فالتفت الى الورا
فرايت فتاة تعدو وهي تقول : « النائم حها . النائم حها »

ولم تمض دقائق حتى سمعت المستشفى كله يردد هذه
العبارة « النائم حها » وبعد نحو ربع ساعة سمعت الشارع
كله يتجاوبها . فتحاملت الى النافذة وانا اكاد اقع من
الضعف واطللت فرايت جموعاً من الناس في هيئة غريبة
يتصايحون : « النائم حها . ها هوذا ينظر . انه شاحب . قد
لا يعيش . يجب أن يرد الى الفراش . أين الممرضات
والاطباء ؟ » وكان الآباء يحملون الاطفال على اكتافهم
لكي يروني من الزحام . وحلقت في الجو قريباً من النافذة
نحو خمسين طيارة صغيرة ووقفت ينظر اليّ ركبها

وبينما أنا مشغول بهذا المنظر واذا بيد توضع على كتفي
فالتفت فوجدت رجلاً نحيفاً طويل الوجه ضخم الرأس عليه
ملامح البنات يقول لي بصوت عذب : « هل لك ان تعود
الى الفراش ؟ انت ما زلت ضعيفاً »

وكان في ألفاظه حلاوة واغراء فعدت الى الفراش
واضطجعت . فقمعد على كرسي بجانب سريرى وأخذ يحس
نبضي ويفحص لساني ويتحسس أجزاء في جسمي . ثم قال :

« يبدو لي انك قد عوفيت . ولكن يحسن عقد مجلس من
الاطباء للاقرار على شأنك »

فقلت : « ماذا كانت علتى ومتى يسمح لي بالعودة الى

البيت ؟ »

فضحك ضحكة طويلة دون القهقهة وقال : « يظهر انك
تجهل كل شيء . لقد مضى عليك هنا ١١٨٠ سنة . ان
حادثتك غريبة فقد اصبحت سنة ١٩٢٥ بفالج في الدماغ
فذهب عنك وعيك وبقيت سائر أعضاء جسمك تعمل كما
لو كنت صاحباً . كنا نغذيك وانت نائم حتى ذهب عنك
الفالج فصحوت الآن . لقد تمت ١١٨٠ سنة »

ولكن هذا الكلام لم يجز الى عقلي ورأيت من العبث
أن اجادل هذا الرجل . فتجاهلت كل ما قاله وقلت بثبات
وعزم : « أريد ان ارى عائلتي »

فعاد الى ضحكته التي تراءت لي هذه المرة انها سخيفة
جداً وتبدت على وجهه عندئذ ملامح الوغد الذي يتعلل
لحبسي وايهامي أوهاماً كاذبة . فقلت وصوتي يتهرج بما يهيج
نفسي من الغيظ : « اذا لم أذهب الى عائلتي فانا أقفز من
هذه النافذة وأنتحر . وأنت المسئول »

فعلت وجهه حمرة الاضطراب وقام يتلطف ويسرّي

عني ويقول : « ستخرج قريباً بعد استفتاء المجلس . لا تحش شيئاً . كلنا يحب لك الخير والراحة . لا تحش شيئاً . انظر .
قد حضر بعض الاعضاء »

فنظرت الى الباب فاذا بخمسة أو ستة أشخاص يسرون نحو غرفتي . وتأملتهم عند ما دخلوا فوجدت فيهم اثنتين من النساء . وأخذوا جميعهم يفحصونني وأقروا على ان صحتي جيدة وأذنوا لي في الخروج بعد تناول الطعام
فقدم لي طبق من فواكه مختلفة لا أعرف أسماءها ولم يقدم لي شيء مطبوخ . فقلت : « هذا لا يقيتني . أرجوكم أن تحضروا لي لحماً وخبزاً فأني أشعر بالجوع الشديد »

فلأطفتني أحدهم وأخبرني بان في هذه الفواكه ما يزيد عن حاجة جسمي من الغذاء وفيها طعوم مختلفة حلوة وملحة . ثم رتبها لي فاكلت أولى الاثمار فكانت تشبه في طعمها اللحم ثم اكلت شيئاً من الجوز وكان يسيل دهناً ثم تناولت ثمرة جميلة اللون ذكية الرائحة قريبة في الطعم من السكرى وأحسست بالشبع والري من هذا الطعام اللذيذ

ثم انفض المجلس وبقي الشخص الاول . فقال لي :
« والآن هل تريد أن تخرج الى المدينة ؟ »
فقلت : « أجل . هذا ما أريد » فناولني سراويل

ومعطفاً لبستها وخرجت معه

وما اشد ما كانت دهشتي عندما رأيتني في مدينة غريبة
يتزاحم أهلها لرؤيتي . وكأثوا كلهم يشبهون رفيقي طوال
الاجسام ضخام الرؤوس نحيفي الابدان لا يختلف الرجل
عن المرأة الا في ان له شاربين دقيقين . أما اللحية فكنت
أرى شعرات في مكانها أو لا أرى شيئاً . وكانت افواههم
صغيرة وبعد ان اختلطت بهم عرفت ان ليس لهم اسناناً في
الفك الاسفل . اما اسنان الفك الاعلى فلم يبق منها الا
اعجازها . واخبرني هذا الشخص الذي كلف بمرافقتي عن
اشياء كثيرة خاصة بي وبالمدينة التي نسير فيها . فحكى لي
كيف اني عشت عيشة نباتية وانا منسطح على فراشي دون
ان اعني وكيف ان هذه المعيشة كانت سبباً في ان اعمر هذا
العمر الطويل لاني صرت بمثابة الشجرة لا اجهد الا اقل
الجهد . وكيف ربت اموالي حتى صرت الآن من أغنى
الناس . ففي سنة ١٩٢٥ كنت املك خمسين فداناً ولم يكن
ينفق عليّ بعد الفالج الا ربيع عشرة فدادين وما تبقى من
الربيع يتوافر باسمي حتى ان اولادي لم يرثوا شيئاً مني لا هم
ولا احفادهم لانه على الرغم من مقاضاتهم لي لم تستطع محكمة
ان تقر على موتي . قتراكت اموالي بهذه الطريقة . ثم قص

عليّ تاريخ مصر في الالف سنة الماضية وكيف حدثت فيها
ثورات اشتراكية وكيف اخفقت التجارب الاولى للحكومة
ثم انتهت بالنظام الحاضر . واخذني في اليوم الاول لخروجي
من المستشفى وارانني بعض مناظر مصر أيام كنت أعيش فيها
قبل ان امرض فعرض عليّ جملة أشرطة سينما توغرافية رأيت
بلادتي كما كنت اعرفها . ثم عرض عليّ اشرطة أخرى للمائة
السنة التالية ثم الثالثة وهلم جرا الى ان ابلغني مناظر «خيمي»
أي مصر في عصره

وكان قد استقر في ذهني الآن ان مارواه لي عن
مرضي صحيح وقد كنت في حياتي السابقة اعرف شيئاً عن
نظرية التطور بل أدعو الى الايمان بها فلم يكن من الصعب
اذن ان استضيء بضوئها في الظروف الحاضرة . ولكن
علمي بهذه النظرية أسقط كرامتي بعض الشيء فاني كنت
أنظر الى نفسي كأني متأخر عن هؤلاء الناص نحو ١٢٠٠
سنة وكأني بينهم بمثابة انسان متحجر حي . والحق أنهم
كانوا ينظرون اليّ على الرغم من تأديهم هذه النظرة الميينة .
فقد كنت أرى عيونهم تثبت في وجهي وتتفحص هيئة
دماغي وكان صبيانهم يتجراؤون احياناً على لمس لحيتي

ويتعجبون من خشونتها كما كانوا يصرحون أحيانا أخرى
بتعجبهم من صغر رأسي

وعدت عند الاصيل الى غرفتي فوجدت ممرضتي التي
قدمت لي طعاماً من الفاكهة أيضاً . وأخذت معها في الحديث
وكان قد غادرنا رفيقي . وشعرت ونحن في وحدتنا بالغرفة
بشعور عائلي بيني وبين هذه الفتاة . فقد عرفت منها أنها
عنيت بتمريضي نحو ثلاثين سنة وكان هذا وحده كافياً لان
أدل عليها بحق الصحبة القديمة والعشرة الطويلة . ثم قصت
عليّ حالي أيام مرضي ولم تكن القصة طويلة إذ كانت تتلخص
في أي كنت في سبات يشبه حال بعض الحيوانات وقت
تشتيتها حين تنجحر وتنام ثلاثة او اربعة شهور لا تأكل
فيها ويقتصر نشاط جسمها على التنفس مع دورة دموية
بطيئة جداً . ولما رأى الاطباء أي سأموت لا محالة اذا لم
أتغذ صاروا يحقنون عروقي بمواد مغذية نحو مرة كل شهر
تقريباً فكانت الحقنة تمسك رمقي . واتبع الاطباء هذه الطريقة
معي وجعلوني أعجوبة الدهر حتى قيل لي انه قد ألقت كتب
عن حياتي هذه وتعليقها بجملة علل وآخر ما ظنه بعضهم اني
اختلف عن سائر الناس في تركيب بعض الغدد المنقطعة

وقد ارتأى بعضهم تشريحى بعد موتى والكنى أخلفت
ظنهم اذ صحت

وكانت الفتاة تخاطبني بصوت جميل فيه بحة مستملحة
وكانت طويلة ضخمة الرأس لا يكاد يكون لها صدر يشبه
صدور النساء البارزة . وكانت تلبس لبس بني عصرها
فالساقان والذراعان والرأس عارية والحذاء بلا جورب .
وليس على جسمها من الملابس سوى قطعة من نسيج واسع
متخلخل أشبه شيء بالكوتشوك يغطي ما بين العنق
والساقين . وكان الرجال والنساء سواء في ذلك . أما شعر
الرأس فكان يرخى حتى يغطي بعض الوجه والقفا

وألفت هذه الفتاة التي عرفت ان اسمها « راديوم »
وشعرت منها كأنها قد ألفتني . وكان في نظرتها لي شيء
يحببها اليّ اذ لم أكن أرى في عينيها ذلك الاحتقار الذي
كنت أراه من سائر اهل خيمي عندما كانوا يتفرسون في
هيئة رأسي وكونها دون رؤوسهم في الحجم . وكانت تشرح
لي كل شيء خاص بأحوالهم ومعاشهم ونظامهم وكنت كل
يوم يزيد ارتباطي بها وتعويلي عليها حتى كنت أقف في
جانباها كالطفل في جانب أمه

وشرحت لي غذاءهم فوجدت أنهم لا يعرفون الطبخ

ولا يذبحون الحيوان لانهم قد استنبتوا من الاثمار فواكه
مختلفة منها ما ينفع غذاءً ومنها ما يستعمل دواءً . وبعض
غذائهم كالنشا والسكر كانوا يستخرجونه من الجداد أي
بالتركيب الكيماوي . وكانت الزراعة في ايدي ناس خبراء
لكل منهم معمل يستولد فيه البزور الجديدة ويقايس فيه
الاغذية المختلفة مع طعومها الحلوة والمزينة والملحة ولم تكن
عنايتهم بالاثمار من حيث الغذاء فقط فقد كانوا يلتفتون ايضاً
الى الارج واللون بحيث لا يقعد الانسان الى طعامه حتى
يرى ما يغذو العين والخياشيم كما يرى من الطعم ما يلذ للسان
وكانت مساكنهم في غاية العجب . بعضها مؤلف من
طبقات يحتمي المسكن على نحو مائتي نفس تقريباً من اولئك
الناس الذين يميلون الى الالفه والاجتماع . بينا كانت هناك
منازل منفردة بين الحقول يعيش فيها المغرمون بالعزلة أو
المنكبوت على درس موضوع خاص يستغرق كل وقته
ويصرفون اليه جميع قواهم . وكانت حياتهم تسهل على
الانسان الانفراد لانه كان يجد في وحدته كل ملاذ الاجتماع
اذ كان يجد في غرفته جهازاً للتلفون الاثيري فيسمع من
الخطب والمحاضرات والاخبار ما يشاء ليلاً أو نهاراً وكان
اذا أراد ان يخاطب صديقه مثلث له صوته وسمع صوته

وهو قاعد في غرفته لا يريم . ولم يكن بالمدن ذلك الغبار الذي
 كنا نراه لان الشوارع كانت جميعها مغطاة بالخشب أو
 الكوتشوك حتى الطرق الزراعية كانت كذلك تقوم على
 جوانبها المصاييح الكهربائية فلم تكن البيوت تحتاج الى
 كنس وتنظيف لا ينقطعان . ثم كان أثاث المنازل يساعد
 على النظافة لانه صار كله تقريباً من الكوتشوك . وكانت
 الغرف تدفأ وتضاء كما كان بها ايضاً مراوح تدار باللاسلكي
 وكان لكل فرد تقريباً أوموبيل خاص او طائرة صغيرة
 وكلاهما يدار ايضاً باللاسلكي

ويمكن ان اقول ان حياتهم كانت على وجه العموم
 انفرادية من الوجهة الحسية ولكنهم كانوا في انفرادهم
 أكثر اجتماعاً منا من الوجهة المعنوية . فاني لم اعرف بينهم
 انساناً لم يسمع غناء كل يوم أو لم يشاهد درامة تمثل في مكان
 قد يبعد عنه بألف ميل أو لم يخاطب اصدقاءه النائين عنه في
 اقطار اخرى مرة كل اسبوع على الاقل ويرى وجوههم
 ويضاحكهم ويجادلهم . فلم يكن ثم ما يدعو الى ان يعيش
 هؤلاء الناس معاً ثم كان لكل منهم مركبة هوائية او ارضية
 تنقله الى حيث شاء بأسرع من الريح

ولكنني مع اعجابي بهم لا أنكر اني امتعزت كثيراً

عندما علمت أنهم لا يعرفون الحياة العائلية كما كنا نفهمها .
 ومما زاد امتعاضي وألمي اني وجدت راديوم في غاية الجهل
 وسوء العاطفة نحو هذه الحياة . فقد كانت عواطفى توسوس
 اليّ وساوس لذينة عن حياة زوجية مع راديوم فأتمثلها
 معشوقتي وزوجتي تسكن اليّ وأسكن اليها في مسكن يكون
 عشنا الذي نأوي اليه معاً ويكون لنا من ثمرة الحب المتبادل
 صبيان روية تتمتع برؤيتهم اطفالاً ونشعر في تربيتهم بلذة الابوة
 ولم تكن راديوم والحق يقال تشد عن بني جنسها في
 سوء العاطفة الغرامية . فانهم كانوا جميعاً جامدين باردين
 ينظرون بعقولهم أكثر مما كانوا يحسون بعواطفهم ولا أذكر
 اني رأيت احداً منهم يغضب الى الاحتداد أو يفرح الى
 الطرب فأقصى غضبهم امتعاض وأقصى فرحهم ابتسام اوضحك
 لطيف . ولم يكن الزواج لديهم قائماً على اعتبارات العشق
 بل على اعتبارات المعيشة والغاية والنسل . فاذا سمع أحدهم
 عن فتاة تبحث أبحاثه وتدرس ما يدرسه تخابرا وينتهي
 تخابرها الى ألفة بحيث يعيشان معاً في مسكن واحد ولكنهما
 مع ذلك لا يجوز لهما النسل الا بعد شهادة من الحكومة
 بأنهما جديران بالنسل

وكان النسل اخطر ما تتعنى له حكومة خيمي . والحق

اني عندما أتأمل في احوالهم أجد أنها كلها تدرر حول العناية بالنسل . فقد استقر في اذهان هؤلاء الناس ان الانسان كان في الزمن البعيد يشبه القرد وانه بالعناية والانتخاب يمكن أن يرقى الى ان يكون حيواناً زاقياً جداً من حيث العواطف والعقل . ومما ساعدهم وشجعهم على هذا النظر ان الاشرطة السينماتوغرافية التي حفظت لهم تاريخ الفومائي عام قد وقفتهم على احوال آبائهم ودرجة رقيهم المنحطة وكيف تدرجوا في الرقي الى ان وصلوا الى حالتهم . فلم يكن فيهم من يستطيع التنطع بمجد الآباء لان هذا المجد كان يرى على لوحة السينماتوغراف فتري عندئذ الوجوه الدميمة والغبار المتطاير والشوارع القذرة والرؤوس الصغيرة . وأذكر أي تصيبت عرقاً من الخجل عندما رأيت شريطاً خاصاً بأحد الموالد كانت احدى الشركات قد اخذت صورته سنة ١٩٢٤ من القاهرة وتعجبت كيف كنا نعيش في ذلك الوسط القذر وكان عند ما يولد غلام جديد تحضر للمنزل لجنة من العلماء فتفحص جسمه فان الفته يليق للحياة والا قتلته في المكان . ولم يكن الابوان يغضبان من ذلك وكنت اسمع منهم ان اكبر ما يقتل لاجله الاطفال هو « الردة » أي انهم يردون الى أصلهم فيخرجون برؤوس صغيرة

وقد تحدثت مع راديووم كثيراً عن هذا الموضوع
فوجدتها لا تستفزع قتل الاطفال وأجابني بلهجة باردة جداً
بأنهم لا يحسون بالموت اكثر من أي حيوان آخر وان
مصلحة الامة والاجيال القادمة تقتضي ذلك . أما طريقتهم في
التربية فكانت في نظري أفضل ما عندهم . فقد كان الطفل
يبقى مع أبويه نحو ست سنوات ثم يؤخذ بعدها الى المدارس
حيث يعلم تعليماً عملياً لذيذاً . فكانت الجغرافية والتاريخ
وأيضاً التاريخ الطبيعي تعلم بالسينما توغراف فكان الصبي الذي
لم يتجاوز العاشرة يعرف عن هذه الاشياء من المعارف
الصحيحة اكثر مما يعرفه طالب قد بلغ الثلاثين في مدارسنا
القديمة . وكانت المدرسة عبارة عن ورشة ومكتبة يتنقل
بينهما الطالب وكان يمتحن امتحانين أحدهما امتحان حضارة
خاص بنظام الحكومة وتركيب الآلات المختلفة والزراعة
والكيمياء ونحو ذلك مما تقوم به الحضارة . والآخر امتحان
ثقافة حيث يدرس تاريخ الامم والانسان القديم والفلسفات
المختلفة التي نبتت من أذهان الناس من العصور البعيدة
والاديان والآداب ونحو ذلك . وكان الطالب لا يترك
المدرسة عادة قبل الاربعين . ولم تكن هذه المدة طويلة
اذا اعتبرت ان أهل خيمي كانوا يعمررون الى نحو مائة

وخمسين سنة . وكانت السياحات البعيدة الى ثلوج القطب الجنوبي أو الى بوادي الصحراء او الى الجبال الشاخحة من ضروب التربية التي يرباها الشباب . فكان الشاب لا يخرج من المدرسة الا وقد رأى العالم كله تقريباً

أما نظام الاعمال والتكسب فكان يشبه ما كنا نسمع عنه من الداعين للاشتركية في زماننا . فقد كانت خيمي مقسمة الى ضياع بها دساكر يتبع كل دسكرة نحو الف فدان وبها مصنع وكانت الزراعة كما نفهمها الآن قليلة لانه لم يكن يحرق من هذه الالف سوى نحو خمسين أو ستين فدانا لزراعة النباتات الغريبة السنوية . أما سائر الارض فكانت مغطاة بالاشجار المعمرة يؤخذ منها الطعام واللباس والوقود . ولم يكن الري من النيل كما كان في عهدنا لان هذا النهر كان قد جف تقريباً لان اهل خيمي صاروا يزمون السحاب بازمة علمهم يرتفعون فوقه بالطيارات ويطلقون عليه من المواد الكيميائية ما يجعله يتكاثف ويقع مطراً في أي جهة ارادوا وفي أي وقت شاءوا . أما مصانع الدسكرة فكانت تصنع كل شيء تقريباً بحيث أن كل دسكرة كانت مستقلة في معاشها عن الاخرى الا في أشياء قليلة تتبادلها واياها . وكان أهل النقابة أشبه شيء بشركة تعاون . ولم يكن يحتاج احدهم الى

العمل لمعاشه اكثر من ساعة في اليوم وسائر نهاره وليله
يقضيه في المتع الذهنية المختلفة وفي متابعة أبحاثه العلمية اذ
قلما كان يخلو فرد من أبحاث علمية يملأ بها فراغه سواء في
ذلك الرجال أو النساء

وكانت حكومة خيمي مؤلفة من خمس هيئات : الهيئة
التشريعية والهيئة القضائية والهيئة الصحافية والهيئة الدينية
ثم أخيراً الهيئة التنفيذية

فأما الهيئة التشريعية فلم تكن منتدبة من أفراد
ينتخبونها كما كنا نعهد في زماننا بل كانت تنتخبها النقابات
المختلفة فلنقابة الاطباء مثلاً ١٠ أعضاء ولنقابة البيولوجيين
أي علماء علم الحياة ١٠ آخرون ولنقابة علماء الزراعة ١٠
ولنقابة النجارين ١٠ وهلم جرا حتى يتألف من ذلك مجلس
به نحو ٥٠٠ عضو هو السلطة العليا للتشريع

أما الهيئة القضائية فكانت أقل الهيئات ظهوراً في الامة
لقلة عدد المتقاضين . وكان القضاة ينتخبون عادة من طبقة
رجال العمران والبيولوجية للفصل في من يجب قتله من الناس
أو منعه من التناسل ولم يكن ثم عقاب آخر

أما الهيئة الصحافية فكانت مؤلفة في الحقيقة من عدة
هيئات فاحداها مثلاً تشتغل باصدار صحيفة يومية اما لاسلكية

واما مطبوعة عن الكيمياء . وأخرى تصدر صحيفة أخرى
عن الادب وأخرى عن الطب وهلم جرا . وكانت الجامعات
من الهيئات الخاصة باصدار الصحف ولم يكن نظام الجامعات
عندهم يختلف عما كان عندنا

اما الهيئة الدينية فكانت مؤلفة من نقابة عامة من
الفلاسفة ولم يكن يقبل فيها أحد دون السبعين وكان رأيها
هو الاعلى في تقرير ما يؤثر في ذوق الامة ومزاجها وقصدها .
فكانت تعين طريقة تدريس التاريخ وتقرر بناء التماثيل لبعض
مشاهير التاريخ او هدمها . وتقيم التماثيل الخاصة بالجمال
أو بالكفايات الانسانية الاخرى في الميادين . وكذلك
الحال في الموسيقى والتصوير والرقص تأمر وتنهي فيها كلها
لان أهل خيمي يعتقدون ان ديانة الانسان أخرى بأن
تتكون من هذه الاشياء من أن تتكون من العقائد المحفوظة
عن ظهر قلب كما كنا نفعل في ايامنا . ولاهل خيمي معابد
يتعبدون فيها على انفراد على عكس ما كنا نفعل . والمعبد
عبارة عن بناء مستطيل كبير على جدار من جدران الاربعة صور
تمثل بزوغ الحي الاول وتطوره الى الانسان ثم ما تخيله هؤلاء
الفلاسفة وتنبأوا به عن مستقبل الانسان في صور أخرى
تمثله ضخم الرأس كبير العينين شريف الطلعة دقيق الاطراف

والانامل . وفي جدار آخر صور أخرى تمثل ارتقاء الصناعة
من عهد الانسان الحجري الى زمن أهل خيمي . وفي جدار
آخر صورة عجيبة لمركز الارض في هذا الكون ونسبته
اليه وفوق الارض انسان يتأمل مركزه في هذا الفضاء
الواسع . وفي الجدار الرابع صور الفلاسفة والانبياء العظام
وعلى شفتي كل منهم كلمة بارعة أثرت عنه وصار لها أثر في
التاريخ . والخيمي انما يذهب الى المعبد ليتبين قصده في
الحياة اذا أحس بسأم أو ضلال فيقعده هناك منفرداً ويحاول
أن يتصل بالكون وأن يعرف مركزه ومهمته فيه فيرتاح
قلبه ويمهداً ضميره . واذا استمر به السأم قصد الى احد
رجال الهيئة الدينية فيدرسه ويعنى به ويفتح له ابواباً ينشط
مها نفسه

اما الهيئة التنفيذية فكانت مؤلفة من موظفي الحكومة
المحليين والعموميين وعليهم انفاذ أوامر سائر الهيئات
وتتلخص حياة الفرد في انه يبقى مع أبويه نحو ست
سنوات ثم يذهب الى الجامعة ولا يبرحها حتى الاربعين
تقريباً وهو في تلك المدة يرى أبويه ويعايشهما . ثم يخرج
فيشتغل في احدى الصناعات اليدوية وينتمي الى نقابتها
وعندئذ يصير فرداً ذا رأي في مصير الامة لانه ينتخب عن

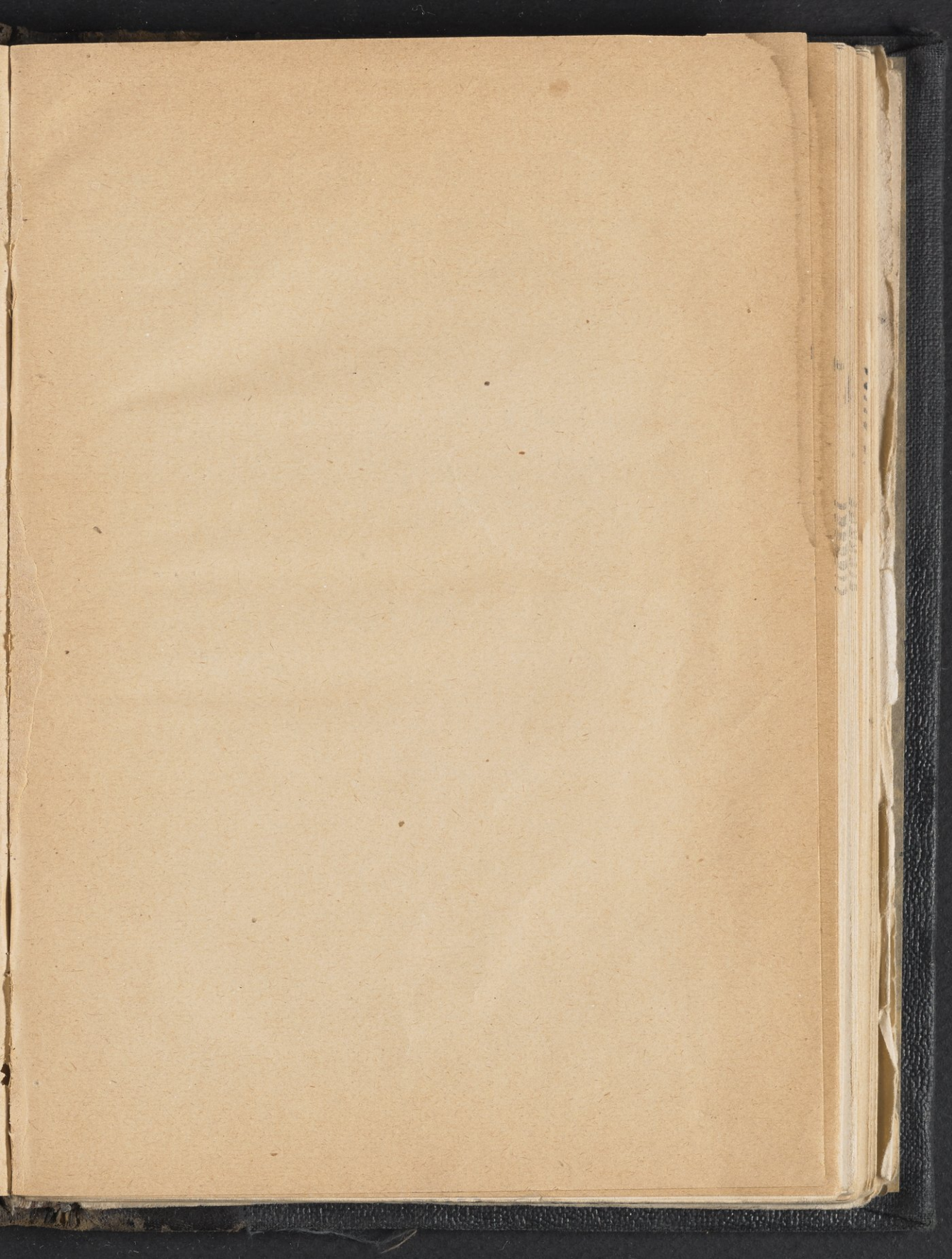
سبيلها النواب في الهيئة التشريعية والقضاة وأحيانا الصحفيين
وتقابته عبارة عن شركة تعاون أيضا فإذا دارت السنة عمل
حساب الشركة ما باعته من حاصلات الدسكرة الزراعية
والصناعية وما اشترته ثم توزع الأرباح على الأفراد كل بنسبة
عمله . والجزء يستوي تقريبا بين جميع الأعضاء لأن المال
انحطت قيمته عند أهل خيمي ولكن هناك أفراداً لهم
نزعات خاصة يهونون مثلاً امتلاك بيت صغير يزينونه بما
شاؤوا من التحف . فهؤلاء يشتغلون أكثر من غيرهم لكي
يتوافر لديهم من المال ما يقتنون به ما يشتهون من هذه
التحف . وتقابة الدسكرة لا تمنع في ذلك بل تشجع عليه
لأن مآل هذه الممتلكات إليها بعد وفاة أصحابها إذا ان مبدأ
الأثر كان قد ألغى منذ زمان بعيد . ومعظم ما ينفق الخيمي
ماله عليه هو الطعام والأتومويل والطيارة (ولكل منهما
عداد وهما يسيران باللاسلكي) أما المسكن فيعطى لكل
فرد بالمجان وكذلك الماء والنور والحرارة . وللتقابة مخازن
يباع فيها الطعام واللباس بأخس الأثمان

وأهل خيمي لا يبالون بكثرة النسل بل بجودته . فقد
كانت مصر في سنة ١٩٢٥ نحو ١٥ مليوناً أما في سنة ٣١٠٥
فانهم نزلوا إلى نحو ١٠ ملايين فقط . ولكن ليس فيهم

واحد يجهل الفلسفة أو مقداراً كبيراً من العلوم الاخرى
وقلما يموت أحد منهم دون ان يكون قد ساح الى القطب
وعاد منه وذلك لانهم وجدوا ان العبرة بالاشخاص كيف
هم وليس كم هم

كان بن عربي الاندلسي يقول : « لا ينبغي للعبد (يعني
للانسان : . .) ان يستعمل همته في الحضور في مناماته بحيث
يكون حاكماً على خياله يصرفه بعقله نوماً كما كان يحكم عليه
يقظة . . . »

وبعبارة أخرى ما نشتميه في اليقظة نراه في النوم . فلا
تهزأ بعد ذلك بالاحلام



B12259044

I1355296X

AUC - LIBRARY



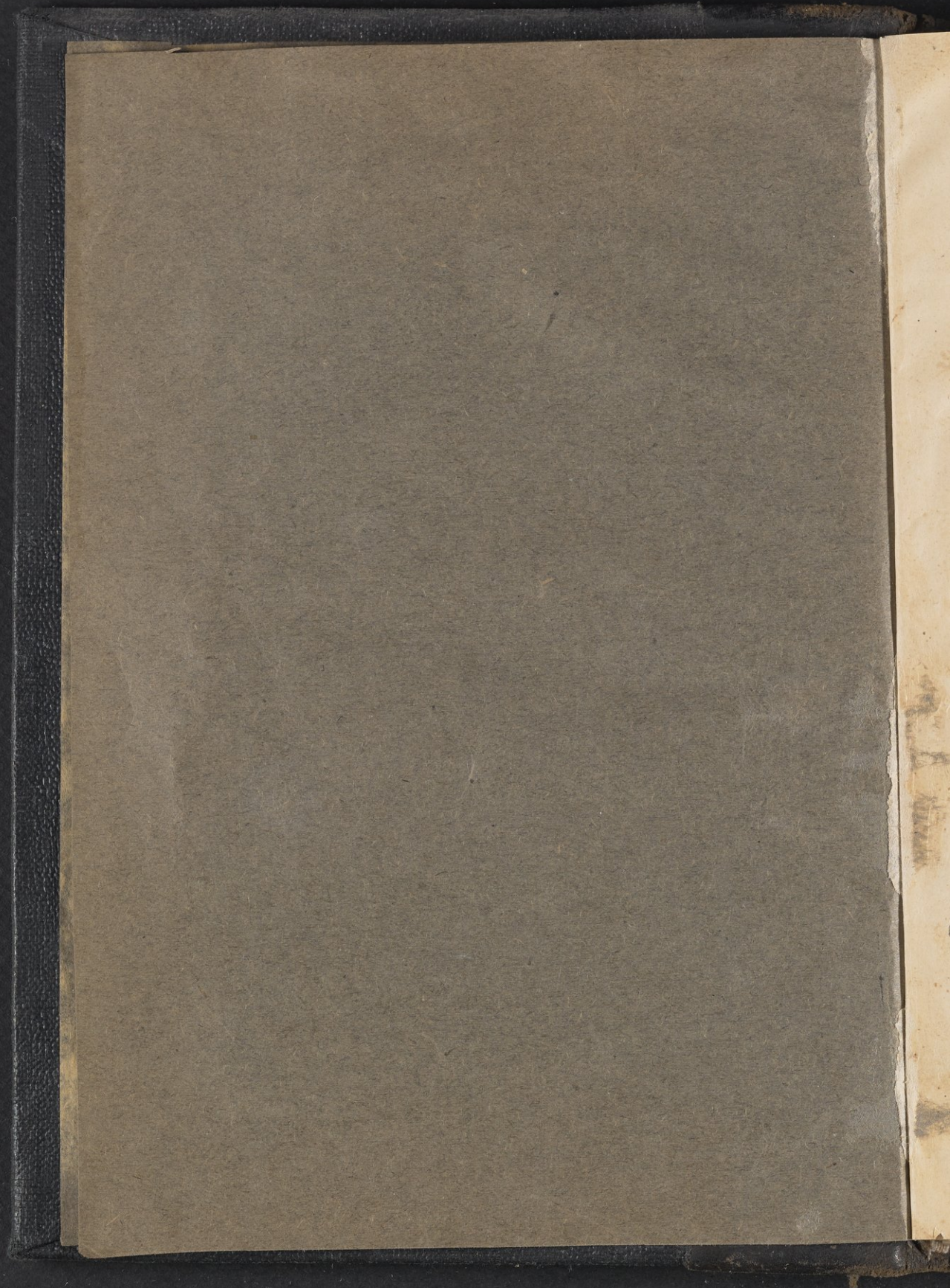
DATE DUE

MAR 16 1988

APR 6 1988

HA
80
M7
192

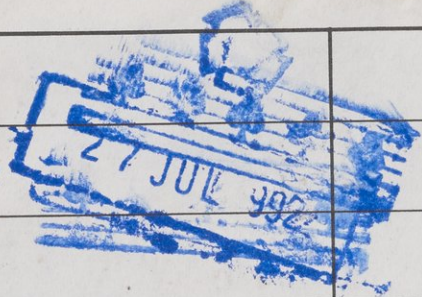
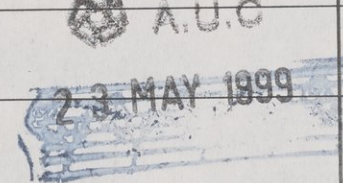
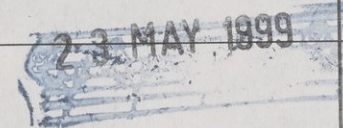
OCT 1971

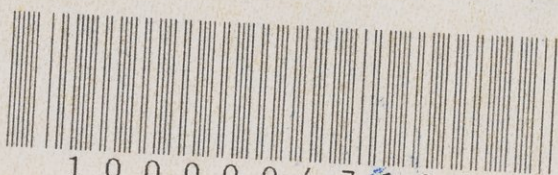


AUC - LIBRARY



DATE DUE



1 0 0 0 0 0 4 7 1 0 2

6
8
26